

الباب الثالث
في كيفية استيلاء
آل خليفة على البحرين
(وتداولها بينهم وما جرى
في خلاله من الملاحم)

ولما توطد حكم الشيخ خليفة بن محمد بن خليفة على الزبارة شرع بعض عشيرته وأتباعه بالاشتغال فى التجارة فكانوا يأتون جزيرة البحرين ويشترون منها اللؤلؤ ويسافرون به إلى أرض الهند فيبيعونه ويرجعون إلى بلادهم. وكان غالب سكان البحرين شيعة شديدة التعصب على إخوانهم السنيين وكانوا يتغالبون فى إهانة واضطهاد كل سنى وطىء بلادهم للحرفة أو للتجارة.

فوافق فى بعض الأيام أن اعتدوا على خدم لآل خليفة جاءوا إلى بلدة فى البحرين تسمى (سترة) لشراء جذوع النخيل فأدى ذلك إلى وقوع قتال بين خدم آل خليفة والبحارنة^(١) كانت نتيجته قتل خادم لآل خليفة يسمى إسماعيل. فغضب لذلك أهل الزبارة جميعاً ثم أرسلوا إلى البحرين أناساً مسلحين فى سفينة صغيرة للأخذ بثأر المقتول. فساروا إلى (سترة) وتقابلوا مع رهط القاتلين حتى تمكنوا من قتل غريمهم. ولكن بعد أن قتل معه نحو خمسة أشخاص ولم يقتل من أهل الزبارة أحد فعظمت المصيبة على البحارنة فتجمعوا واستغاثوا (بحاكمهم الشيخ نصر آل مذكور) فجهز لهم السفن مشحونة بجيش عظيم وتولى هو القيادة بنفسه ليثير النخوة والحماسة فيهم وسار الكل نحو قطر حتى أرسوا بسفنهم عند موضع يقال له (عشيقا) ومشوا من هناك رجالنا إلى الزبارة وأحاطوا بها محاصرين لها. وطلبوا من أهلها سبى نسائهم وأطفالهم وخدمهم جميعاً وإلا وضعوا فيهم السيوف حتى ينفوهم عن آخرهم فعظمت المحنة على المسلمين واستكبروا هذه الشروط التى

(١) البحارنة فى اصطلاحهم هم أبناء الشيعة فقط. ١ هـ مؤلف.

ما أنزل الله بها من سلطان فهان عليهم الموت فى حفظ عرضهم وحفظ نسائهم وأطفالهم . واستصوبوا قول عنترة العيسى :

وإذا بليت بظالم كن ظالماً وإذا لقيت ذوى الجهالة فاجهل
وإذا الجبان نهاك يوم كريهة خوفاً عليك من ازدحام الجحفل
فأعص مقالته ولا تحفل بها واقدم إذا حق اللقافى الأول
واختر لنفسك منزلاً تعلو به أو مت كريماً تحت ظل القسطل
فالموت لا ينجيك من آفاته حصن ولو شيدته بالجنـدل

وخرجوا إلى ميدان القتال بعد أن أبقوا شردمة من الرجال عند النساء والأطفال . وقالوا لهم إن نصرنا الله فيها ونعمت وإن انكسرنا لا سمح الله . فأنتم اقتلوا النساء والأطفال جميعاً ولا تدعوهم يصيرون أسارى فى أيدي الشيعة . وبعد قتلهم فشأنكم والفرار للنجاة بأنفسكم . ولما تقابل الجمعان كان رئيس الزبارة وكيل حاكمها الشيخ أحمد بن محمد (لغياب أخيه الحاكم الشيخ خليفة فى الحج كما أسلفنا) ودار بينهم الضرب والطعان وتطايرت الرؤوس عن الأبدان . وصاحت الأبطال على بعضها بأصوات يذوب منها قلب الجبان . نهض أهل (فريحة) وهم فخيذة من آل ابن على^(١) مساعدين لآل خليفة وشهروا سيوفهم وبرزوا إلى الميدان . فلم يلبث قوم نصر إلا ساعة من نهار . حتى أسفرت الواقعة عن انكسارهم فولوا الأدبار . وانتصر أهل الزبارة وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم . وغلب هنالك قوم نصرُوا انقلبوا صاغرين وفروا بأنفسهم إلى سفنهم وذهبوا بها إلى (أبى شهر) تاركين ساحة

(١) فريحة اسم قرية قرب الزبارة كانت تسكنه فصيلة من آل ابن على . ا هـ مؤلف .

الوغي ملاًى بجث قتلهم . ومن ذلك اليوم صغر أهل البحرين اسم الشيخ نصر وسموه (نصوراً) وتسمى هذه الوقعة (وقعة نصور . وتدويل نصور) وذلك فى ١٨ جمادى الثانية عام (١١٩٧) وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين :

وفى هذه المعركة آل سيف الشيخ نصر آل مذكور إلى (آل ابن سلامة) وهم عشيرة من آل ابن على . ثم آل ذلك السيف إلى الشيخ سلطان بن سلامة . ثم إلى ورثته إلى سنة (١٣٣٢) حيث أهدى ذلك السيف إلى حاكم قطر الشيخ عبد الله بن قاسم بن ثانى .

الفصل الأول
في حكم الشيخ
أحمد بن محمد
وهو الفاتح للبحرين

ولما تبين فشل الإيرانيين وانكسارهم أمام أقدام العرب وفرارهم إلى أبي شهر عبر الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة إلى البحرين بقومه واحتلها. وأرسل عائلة الشيخ نصر إلى أبي شهر خلف أبيهم وقد استدل بذلك على سعة أحلام آل خليفة ومكارم أخلاقهم العربية حيث أنهم لم ينتقموا من عدوهم الشيخ نصر بأسر عائلته أو أهانتها (كما قد أراد أن يفعل الشيخ نصر بهم) بل أن آل خليفة أكرمهم وأرسلوا بغاية الحفظ إلى مأمئهم.

ولقد أرخ بعضهم استيلاء الشيخ أحمد الفاتح على البحرين (جزيرة أوال) بقوله (أحمد صار في أوال خليفة) فله در هذا المؤرخ الذى جمع هذه المعانى فى هذا التاريخ فإنه ذكر الاسم والجد واللقب والحكم ومآله والإمارة والموضع والتاريخ.

فينبغى أن يقال:

فإن لم يكن درا فذاك نقيصة وإن كان درا كيف يهدى إلى البحر ومن يومئذٍ اشتهرت هذه الفخيدة بآل خليفة إلى الآن ولم تزل إن شاء الله إلى منتهى الأزمان. خلد الله ملكهم وأعز شوكتهم. وجعل النصر حليفهم. فإنهم لم يزالوا خلفاء فى الأرض يحكمون بين الناس بالقسط. كيف لا وهم أهل المجد الباذخ. والشرف الشامخ. الذين لم يظهر الله من نسلهم من يخالف أهل السنة والجماعة. مثل ما ظهر فى غيرهم من أمراء المسلمين: وذلك بامثالهم إلى قوله تعالى: ﴿وشاورهم فى الأمر﴾ فإنهم لم ينفذوا أمراً مهماً إلا بمراجعة الأفاضل من العلماء وبمشورة الوزراء الأتقياء. وفقهم الله لذلك آمين.

ولما استتب حكم الشيخ أحمد بن محمد على البحرين ورتب أمور البلد عاد إلى الزبارة بعد أن جعل على البحرين أميراً من قبله. وجعل مقره في (قلعة الديوان) الكائنة جنوب المنامة وصار الشيخ أحمد المذكور يأتي إلى البحرين زمن الصيف من كل سنة ولم تزل هذه عادته إلى أن أفلت شمسها فدفن في مقبرة المنامة وذلك سنة (١٢٠٩) وأرخت وفاته بلفظ (رعه) مأخوذة من أنه في رحمة ربه في عيشة رغدة رحمه الله^(١).

وبقى الأمر لبنيه فالشيخ سلمان هو الحاكم وسكنه (الرفاع) ووازره أخوه الشيخ عبد الله وسكنه (المحرق) وأما أخوهما الثالث الشيخ محمد فإنه توفي بمسقط. وسيأتي سبب ذهابه إليها عند ذكر حكم الشيخ سلمان بن أحمد.



(١) تنبيه الشيخ أحمد والشيخ مقرن أشقاء وخالهما عمرو بن سنان من آل مبارك من آل بن على. ودفن الشيخ أحمد بالمنامة كما تقدم في الأصل. ودفن أخوه الشيخ مقرن بالمحرق والشيخ على والشيخ إبراهيم أشقاء وخالهما من آل أبي سدره من آل الشيخ من آل أبي كواره. ودفن الشيخ على بالمحرق. وأما أخوه الشيخ إبراهيم فإنه توجه إلى البصرة سنة (١٢١٢) صحبه الشيخ أحمد بن رزق الشهير وبقي معه مدة ثم قفل راجعاً إلى البحرين وتوفي بها سنة (١٢٣٠) ودفن في ستره: وأما أخوهم الخامس الشيخ خليفة فأحواله آل صباح حكام الكويت وتوفي بمكة المشرفة سنة (١١٩٧) كما وضحنه في الباب الثاني فهؤلاء الخمسة هم أبناء الشيخ محمد بن خليفة فقط. اهـ مؤلف.

الفصل الثانى
فى حكم
الشيخ سلمان
وهو الحاكم الثانى

تولى الشيخ سلمان بن أحمد آل خليفة الحكم سنة (١٢٠٩) بعد وفاة أبيه . وكان حازماً عادلاً ورعاً فأحبته الرعية ودانت له القبائل . ثم فى سنة (١٢١٢) نقل جميع عائلته وحواشيهم من الزبارة إلى البحرين وأنزلهم فى القرية المسماة (جواً) وسبب ذلك الخشية عليهم من غارات سعود بن عبد العزيز الذى استفحل أمره فى تلك المدة . بعد أن غزى بلاد المنتفق والقرية المسماة بأم العباس فقتل منها ومن حولها خلقاً كثيراً ونهب وحرق ثم كر على بادية العراق ثم عطف على الإحساء والقطيف فتغلب عليها (كما بيناه فى تاريخ نجد) فصار يخشى على الزبارة أيضاً من مهاجمته إياها فلذلك نقل الشيخ سلمان جميع عائلته منها .

وكان للشيخ سلمان من الولد ثمانية أبناء . الشيخ خليفة وأحمد ويوسف . وعبد الرازق . وداود . ومحمد . وحمود . وعبد الوهاب .

فصل
في تغلب حاكم
مسقط على البحرين

وفى سنة (١٢١٥) هجم حاكم مسقط السيد سلطان بن أحمد بأسطوله الشراعى على البحرين واستولى عليها بدون قتال لأن الشيخ سلمان لم يستحسن الحرب ولا المقاومة. لأنه قد عثر على بعض خطوط سرية جارية بين أهل البحرين وحاكم مسقط يرغبونه فى الاستيلاء على بلادهم. وكان عثوره على تلك المكاتبات قبل هجوم حاكم مسقط بمدة وجيزة لم يمكنه أن يأخذ الأهبة للدفاع عن وطنه والقبض على المفسدين لا سيما وقد لاح له أن غالب جيوشه مخدوعة بعدم المقاومة. فاضطر إلى التسليم وجنح إلى الصلح بدون مقاومة ما. على شرط أن تبقى له أملاكه وأمواله كما هى.

فقبل السيد سلطان بذلك بشرط أن يتخلى الشيخ سلمان عن البحرين تماماً وأن يدفع أخاه الشيخ محمد رهينة عند حاكم مسقط يقتله إذا رأى من الشيخ سلمان المشار إليه تحفزاً للثورة. فتم الصلح بين الطرفين على ذلك. فأرسل حاكم مسقط أخاه السيد سعيداً حاكماً على البحرين من قبله بعد أن أخذ الشيخ محمداً رهينة عنده.

فقدم السيد سعيد البحرين فى السنة المذكورة ونزل عند قرية يقال لها (عراداً) وبنى على ساحلها الغربى الشمالى (قلعة) منيعة تسمى اليوم (قلعة عراد) وهى باقية إلى اليوم ولكنها مهجورة آيلة للخراب (وقد ذهبت إليها ولم أر فيها كتابة ولا علامة مفيدة بل ولم يكن على بابها تاريخ بنى عن بنائها).

ثم إن الخليفين لما رأوا تحصن السيد سعيد فى القلعة المذكورة أيسوا من استرداد البحرين فارتحلوا بعائلاتهم وأتباعهم جميعاً إلى الزبارة ببلدتهم القديمة

ولبثوا يتحينون الفرص إلى أن بلغتهم وفاة الشيخ محمد بن أحمد آل خليفة في مسقط سنة (١٢٢٣) حيث أصبحوا آمنين من الفتك بأخيهم المذكور.

فعمدوا بعد ذلك إلى أعمال الفكر والروية في استرداد البحرين ورأوا من الراجح أن يطلبوا من سعود بن عبد العزيز أمير نجد المساعدة بالمال والرجال. فأرسل لهم جيشاً تحت قيادة إبراهيم بن عفيصان وأتوا جميعاً إلى البحرين وتقاتلوا مع المسقطيين قتالاً شديداً حتى أجلوهم عن البلدة. واستولوا عليها وذلك سنة (١٢٢٤).

فصل في استيلاء

أمير نجد على البحرين

وغدرة بجاكمها

كان الاتفاق بين سعود أمير نجد. والشيخ سلمان على أن ينجذ الأول
الثاني ويعينه على استرداد ملكه المسلوب. ولما تم لهما الظفر على السيد
سعيد كان قد أضمر سعود فى نفسه الغدر للشيخ سلمان وأوصى عامله بن
عفيصان أن يمنع آل خليفة من سكنى البحرين ومن التصرف بها إذا حصل
لهم النصر. وإن رأى منهم شراسة أو حدة فى طلب الحكم على بلدتهم
يطلب منهم أن يواجهوا مخدمه سعود بن عبد العزيز ويتحصلوا منه الإذن
بإعادة البحرين لهم: فبعد النصر فعل ابن عفيصان ما أمر به فلم يرض
الخلفيون على ذلك بل انتقلوا إلى الزبارة وهم يفكرون فى حل مشكلتهم:
وبقى بن عفيصان أميراً على البحرين ومقر إمارته (قلعة الديوان).

ثم إن الخلفيين أرسلوا إلى سعود بن عبد العزيز يطلبون منه جلاء
جنوده من البحرين بموجب نص الاتفاق المعقود بينهما.

فبينما هم كذلك وإذا بسليمان بن سيف بن طوق يقود سرية فدخل بها
الزبارة واستولى عليها وألزم آل خليفة بالتوجه إلى نجد لمقابلة أميرها: فتوجه
إليه منهم ثلاثة (الشيخ سلمان: والشيخ عبد الله أبناء الشيخ أحمد وابن
عمهما الشيخ عبد الله بن خليفة) وصحبهم من أعيان الزبارة السيد عبد
الجليل بن ياسين البصرى صاحب الديوان الشهير: والسيد عبد الرحمن
الزواوى ومحمد بن صقر المعاودة: فلما وصلوا إلى نجد وتقابلوا مع الأمير
أمر آل خليفة بالبقاء عنده فى الدرعية وأمر الباقين بالرجوع إلى بلدتهم وذلك
سنة (١٢٢٤) وانشد لسان الحال يقول:

والمستغيث بعمره يوم كربته كالمستغيث من الرمضاء بالنار

فلما حصل على آل خليفة ما حصل من الغدر الفظيع لم يسعهم إلا
قول الشاعر:

تعلم شفاء النفس قهر عدوها وبادر بلطف في التحليل والمكر

فعند ذلك أرسلوا سرّاً إلى ابن أختهم الشيخ عبد الرحمن بن راشد آل
فاضل وأخبروه بأن يحتال في أخذ البحرين وإخراج ابن عفيصان منها بأى
صورة كانت. فامتثل أمر أخواله وشرع في التدبير لأخذ البحرين: فأظهر بأنه
متوجه إلى الهند للتجارة وركب سفينته المسماة (الجابرى) فلما وصل (مسقطاً)
نزلها وطلب من حاكمها (السيد سعيد بن سلطان) المساعدة فاعتذر السيد
سعيد من المساعدة بالجنود وإنما أمدّه بشيء من المال وأهداه السيف المسمى
(السلمونى) وهو من سيوف العرب المشهورة: وقد آل هذا السيف أخيراً ليد
سمو الشيخ محمد بن ذى عظمة سمو الشيخ عيسى آل خليفة وهو باق بيده
إلى حال التاريخ:

تنبيه:

كانت عادة آل خليفة إذا ضايقهم أمير نجد استعانوا بحاكم مسقط. وإذا
ضايقهم حاكم مسقط استعانوا بأمير نجد: كما هو شأن دهاة السياسة الذين
ينالون الفوز باستخدام أعدائهم.



**فصل فى كيفية
استرجاع البحرين
بواسطة الشيخ
عبد الرحمن آل فاضل**

ولما تحصل الشيخ عبد الرحمن بن راشد آل فاضل على المدد من حاكم مسقط توجه إلى (فارس) وقصد حاكمها الشيخ جباره^(١) وجند بمساعدته رجالا بالدرهم من فارس: وبعد ذلك أرسل سرا إلى أبناء آل خليفة الموجودين في الزبارة: وهم خليفة بن الشيخ سلمان: وحمد وراشد أبناء الشيخ عبد الله: وأخبرهم بأنه قد تحصل على المدد وتواعدهم في يوم معين للهجوم على البحرين.

فلما قرب منها خرج له الخلفيون المذكورون بجيش مؤلف من أحوالهم آل بن على وانضموا إلى ابن عمتهم الشيخ عبد الرحمن المذكور وساروا جميعا نحو البحرين وتوقعوا مع جيش ابن عفيصان حتى كسروه وأخرجوه هو وقومه منها صاغرين فسار ابن عفيصان إلى (قطر) ونزل عند رحمة بن جابر الجلاهمة في موضع يقال له (الخوير) وهو شرقي الزبارة

ولما تم النصر لآل خليفة مع ابن عمتهم الشيخ عبد الرحمن على البحرين واستولوا عليها كان ذلك في سنة (١٢٢٥) وبعد أن استتب لهم الأمر فيها نقلوا إليها جميع عائلاتهم من الزبارة: وجعلت العرب تتسلل سرا إلى البحرين تبعا لآل خليفة. وخوفاً من جور أمراء نجد: فخاف سليمان بن سيف ابن طوق المذكور من خلو الزبارة فمنع القبائل من الظعن منها: فلم يلتقوا إلى قوله بل جعلوا يفارقونها جمعا ووحدانا: حتى بقيت الزبارة خاوية على عروشها: فانسحب منها سليمان بن طوق إلى الإحساء:

(١) يقال أنه من النصور قبيلة من العرب سكنت فارساً ١ هـ مؤلف.

فلما بلغ سعود بن عبد العزيز خبر خروج عامله (ابن عفيصان) من البحرين قهراً، وأن الشيخ عبد الرحمن قد استولى على البلدة مع أبناء آل خليفة الباقيين فى الزبارة أخذ بالذاكرة مع آل خليفة المعتقلين عنده فى شأن فلاموه على التفریط فى وضع عمال ضعفاء حتى فرطت البلدة من يده ومن يدهم: فسألهم عن التدبير فى ذلك. فقالوا له أطلق سراحنا حتى ننظر فى أمرها لعلنا أن نتمكن من استرجاعها فنشترك معك فيها. فامتنع من إرسالهم جميعاً. ولكن ترجح لديه إرسال أحدهم فأطلق سراح الشيخ عبد الله بن أحمد وأصحابه مع رجال ثقات من قومه ليعرفوا رأى الشيخ عبد الرحمن آل فاضل هل أخذ البحرين طمعاً فى الملك لنفسه أم أخذها مساعدة لآل خليفة.

فلما وصلوا إلى البحرين أظهر الشيخ عبد الرحمن لهم الجفاء والغضب وأخشن لهم القول. وذلك بإشارة له من آل خليفة الذين فى نجد. ثم إن رجال سعود خاطبوا الشيخ عبد الرحمن (وقالوا له كيف يتجرأ العيال على أخذ البحرين وآبائهم فى قبضة (الإمام) فقال لهم دونكم والعيال فإنهم حاضرون فتقدم لهم الشيخ خليفة بن الشيخ سلمان وهو أكبر الأبناء وقال لهم نحن أخذ البحرين لأنفسنا ولا حاجة لنا بآبائنا فإننا قد يئسنا منهم وسمينا بأسمائهم فغضب لذلك رجال سعود وقالوا كل ذلك مكيدة من الشيخ عبد الرحمن. وخاطبوه بقولهم (لو كان يمكن للخف والحافران يطأ البحرين لشربناها حصاة حصاة) فأجابهم الشيخ عبد الرحمن وقال لهم إذا وصلتكم عند إمامكم فقولوا له (لو يمكن لقبيت الجابرى)^(١) أن يطل على الدرعية لجعلنا عاليها سافلها ولما تركناه ينام بها ليلة سوداء) فلما رجع رجال سعود وأخبروه (١) القبيت اسم لأنف السفينة. أى لو يمكن لأنف سفيتى المسماة بالجابرى أن تشرف على بلدكم لجعلنا عاليها سافلها. الخ اهـ مؤلف.

بما جرى أيس من البحرين وأطلق سراح آل خليفة المعتقلين عنده وأسلمهم (ورقة حوالة) على عامله بالحسا ليستلموا بها بعض الدراهم للمساعدة على استرجاع ملكهم المسلوب ولكنهم لما بارحوا الدرعية أتوا جميعاً إلى موضع يقال له (الصفيرة: وقيل إلى نفع أعجمي) وكان قد أعد لهم الشيخ عبد الرحمن هناك سفناً لنقلهم بإشارة منهم أيضاً وبعد خروجهم من نجد أرسل (رحمه بن جابر الجلاهمة) رسولا إلى سعود بن عبد العزيز يحذره من إطلاق آل خليفة المعتقلين عنده وذلك بإشارة من إبراهيم بن عفيصان الذي نزل عنده بعد هزيمته من البحرين فندم سعود على ما فرط وعلم أنها مكيدة من ابن أختهم وأنهم أن وصلوا البحرين يصعب استرجاعها فأرسل وراءهم لئرجعهم إليه (ولكن سبق السيف العذل) إذ أدركتهم السرية وهم على ساحل البحر وقد ركب غالبهم السفن فتراميا بالبنادق حتى قتل رئيس السرية وفر الباقون بأنفسهم وأتى آل خليفة إلى البحرين واستلموا زمام المملكة ابن أختهم وتسمى هذه المسألة (نزول المحرق من بعد الزبارة) وذلك سنة (١٢٢٥ هـ).

وقعة خكيكره

لم تقف همة الخلفيين عند تملك جزيرة البحرين فقط بل رأوا من الواجب أن يثأروا من إبراهيم بن عفيصان ومن مساعدته رحمه بن جابر الجلاهمة^(١) وحال ما وطئوا البحرين توجهوا منها بأسطول من السفن

(١) رحمه الجلاهمة كان رجلاً عزيزاً في قومه ولعزته لم يدن لطاعة آل خليفة من كل وجه لأمر في نفسه فجعل يشن الغارات عليهم كما سيأتى في الأصل عند ذكر وقعاته حسداً منه:

لا يحسد المرء إلا من فضائله بالعلم والظرف أو بالبأس والجود

١ هـ مؤلف.

الشراعية للإيقاع بهما. وكان (رحمه وابن عفيضان) قد تأهبا واستعدا لمحاربة آل خليفة مؤملين فى استرداد البحرين منهم. وقد تربص الخليفيون حتى خيم الليل فأتوا وأرسوا بسفنهم أمام (الخور) وهو موضع على ساحل قطر يقيم فيه رحمه وابن عفيضان.

فلما رأى رحمه ضوء مصابيح السفن قال لابن عفيضان أن تعبيتها (أى مرساها) ينبئ بوجود الشيخ عبد الله بن أحمد فيها (فأجابه بن عفيضان متهمكا) أما وقد علمت بوجود الشيخ عبد الله مع المحبوسين عند سعود. ومع ذلك فإنى أود أن أعرف الدليل الذى بنيت عليه نبوءتك فقال رحمه أن تعبيتها تعيبة قائد خبير لا يمكن أن يكون غير الشيخ عبد الله. ثم أراد أن يحقق ذلك فاستدعى بزورق ووضع فيه سراجا وأمره بالوقوف وراء تلك السفن.

فلما وقف الزورق ورآه الشيخ عبد الله خشى بأن يكون ذلك ضوء سفن رحمه. فأمر فى الحال سفنه بأن تقلع وتقف وراء ذلك الضوء دفعا لهجوم يجعلها محصورة بين السفن والبلدة فلما رأى رحمه ذلك تيقن بأن الشيخ عبد الله هو قائدها ولا شك وتعجب من قدرته الحربية وإتقانه أفانين الدهاء والسياسة.

ثم أنه أمر سفنه وأشهرها سفينته الخصوصية المسماة (المنوار) بالخروج إلى عرض البحر لرد غارات سفن الخليفيين. ولما أسفر الصباح وتراء الجمعان قال رحمه لابن عفيضان إنى أرى من الحزم ألا نتقابل مع الخليفيين لأنه ليس لنا قوة على قتالهم فغاض ذلك ابن عفيضان وظنه جبناً من رحمه. وأمر رجلا من قومه بأن يُحَوَّر^(١) بهذا النبط:

(١) يحورب أى يتحرش للحرب بالشعر ليشير الحماسة والنخوة فى قلوب الرجال لأن العرب تهترز أستها بالشعر. اهـ مؤلف.

لا خير فى رجل يجر جريره وإذا تضايق دربها خلاها

فغضب رحمه واعتزى وقال (إلا بالله ما يخليها) وأمر برفع الشراع وبرزا للقتال حتى اشتبكت السفن ببعضها ولاصقت سفينة راشد بن عبد الله سفينة رحمه فجاء أبوه الشيخ عبد الله ولاصق سفينة ابنه راشد من الجانب الآخر وحمى وطيس القتال بين الفريقين حتى قتل راشد بن عبد الله بعد أن قتل من الجانبين خلق كثير. وكان من شدة إطلاق الرصاص بن الجانبين اشتعلت النار فى شراعى سفينتى رحمه وراشد فاحترقت السفينتان ونجت سفينة الشيخ عبد الله المسماة (الطويلة) وقد أدى ذلك إلى انكسار ابن عفيصان ورحمه وفرارهما على لوح من خشب السفينة المحروقة بعد أن أصيب رحمه فى يده اليمنى بجراحات مبرحة. وبينما كانا عائمين قال رحمه لابن عفيصان يذكره صدق نصيحته ويوبخه على تركها (هل رأيت حرب العتوب) وهل تحقق أنهم أقوى منا أم هل يحتاج إلى برهان آخر فجعل وسكت.

وتسمى هذه الواقعة (وقعة خكيكيره) وذلك سنة (١٢٢٥) وخكيكيره اسم موضع فى البحرين الزبارة والفريحة. وبعد انتهاء هذه الواقعة اختار الشيخ سلمان بن أحمد سكنى (الرفاع) فنزله ثم بنى به (قلعة عظيمة) على أساس قلعة فرير بن رحال وزير الشيخ الجبرى كما تقدم. سوى أنه اختصرها وجعلها أصغر من البناء الأول. ولما تم بناؤها كتبوا على إحدى مصراعى الباب (خيم السعد بقصرك) وعلى المصراع الآخر (جاء خير بقصرك) وكل جملة هى مشتملة على تاريخ بناء القلعة وهو سنة (١٢٢٧). وجعل الشيخ سلمان بلدة الرفاع قصبة حكمه. وحفر غربى القلعة المذكورة البئر المشهورة

(بالحنينية) والقلعة باقية إلى اليوم يسكنها بعض الخلفيين ووصلها سنة (١٣٤٠) ورأيت ذينك التاريخين المذكورين منقورين فى مصراعى باب القلعة بوضوح تام.

واختار الشيخ عبد الله بن أحمد سكنى المحرق ونزلها وبنى بها أيضا قلعة فى (حالة أبى ماهر) تسمى اليوم (قلعة أبى ماهر) وهى خربة مهجورة منذ وقعة الضلع الآتى ذكرها سنة (١٢٨٦).

وقعة المقطع

وتسمى دولة الإمام فى ستره

إن الظفر الذى حازه آل خليفة أشعل نار الحسد والبغضاء فى قلب (رحمه الجلاهمة) حتى تركه لا يقر له قرار ولا يهدأ له بال إلا بالإيقاع بآل خليفة. ولما كان عاجزا عن مناجزتهم ومقابلتهم عمد إلى أخذ ثأره ولكن من طريق المراوغة والختل. فأرصد سفينته لقطع طرق البحرين بنهب وقتل من يسابلها من الباعة والتجار وربما اغتنم الفرصة فنهب بعض أطراف البلد. ولما لم يظفر بطائل توجه إلى مسقط فقابل بل حاكمها (السيد سعيد بن سلطان) وأطمعه فى أخذ البحرين فجنىح إلى قوله وأجاب طلبه:

وكان عادة تجار البحرين يسافرون إلى الهند لبيع لآلهم وابتياح الأمتعة من الهند فدخل مسقطا أناس من أهل البحرين منهم عبد الرحمن بن راشد آل فاضل بسفينته المسماة (الجابرى) ومحمد بن مقرن بن محمد آل خليفة بسفينته ومحمد بن صقر المعاودة بسفينته (التوكلى) وسيار بن قاسم المعاودة بسفينته (السلطاني) فقبض عليهم حاكم مسقط وسجنهم فى قلعة هناك تسمى (برج موزه الجلالى) وكانت فيه إذ ذاك أخته موزه بنت سلطان.

ثم إنه كتب إلى أهل البحرين كتابا يطلبهم بالدخول فى طاعته والانضمام تحت رايته ولما علم المسجونون بذلك تمكنوا من إرسال شخص سرّاً إلى البحرين ليشعر حاكمها بأن يجيب حاكم مسقط (بأن يقتل من عنده من أمراء وتجار البحرين لأنهم فى غنى عنهم وقد أيسوا منهم وقد سمو أبناءهم بأسمائهم) فلما وصل خط حاكم مسقط إلى الشيخ سلمان حاكم البحرين وفيه إما أن تدخلوا تحت الطاعة وإلا قتل من عندى من أتباعكم) فأجابه الشيخ سلمان بما ذكر.

فجهز حاكم مسقط جيشاً بحرياً وسار به نحو البحرين وكان فى صحبته (رحمه الجلاهمة) ونزلا بالجيش فى موضع على ساحل (مدينة سترة) واستقاموا بها ثلاثة أيام ولم تبرز لهم جيوش البحرين فقال السيد سعيد رحمه (عتوبك غابوا) أى ماتوا قاصداً بذلك تحقير قبيلة العتوب فغضب لذلك (رحمه) لأنه عتبى وقال له إذا أصبحنا ولم تظهر أعلامهم فاعلم بأنهم غابوا وكان رحمه قد بلغه خبر مبيتهم فى موضع يقال له (جدى على) فلما أصبحوا ظهرت أعلام أهل البحرين من بين النخيل فقال رحمه للسيد (هؤلاء عتوبى ظهوروا فتوكل على الله) وكان الشيخ سلمان قد خرج لهم بجيشين . مشاة تحت قيادته ومعه أخوه الشيخ عبد الله والجيش الآخر فرسان تحت قيادته ابنه خليفة وأحمد ابنى سلمان فلم يك إلا ساعة من نهار حتى أسفرت المعركة عن انكسار أهل مسقط فولوا الأدبار . وأخذ الشهرة فى هذا الميدان الشيخ خليفة بن سلمان وفاق على الأبطال والأقران وعلا العدو بالسيف والسنان وصار النصر حليف الخلفيين وقتل فى هذه المعركة أخو حاكم مسقط السيد سالم بن سلطان وقتل من أعيان أهل البحرين قاسم بن درباس من

الشظيب من آل ابن على . والشيخ محمد بن إبراهيم آل خليفة وأحد أولاد الشيخ عبد الله وتسمى هذه الواقعة (وقعة المقطع : أو دولة الإمام فى ستره) وذلك سنة (١٢٣٠) وإلى هذه الواقعة أشار محمد بن عثيمين فى قصيدته العينية التى مدح بها سمو الشيخ محمد بن ذى العظمة سمو الشيخ عيسى آل خليفة بقوله :

سعيد بن سلطان على الحرب مجمعا	ويوم أتاهاهم باللهامى يقوده
لمورد حتف لم يجد عنه مرجعا	سفينا كملتف إلا شاء يسوقه
خليفة تستعذب الموت شرعا	فثاوره قبل الوصول ضراغم
على كرهه أضحى لها متجرعا	وساقوه كأساً مرة الطعم علقه
وما زال مزؤد الفؤاد مروعا	فأدبر لا يلوى على ذى قرابة
ولكن من لاقى أشد وأشجعا	وما كان خوارا ولا ملتبدا

وسنذكر القصيدة بتمامها فى الطبعة الثالثة إن شاء الله

ثم لما انكسر السيد سعيد أمام ضراغمه الخلفيين ورجع إلى مسقط هم بقتل أمراء وتجار البحرين المسجونين عنده فنهته أخته (موزه) وأنفته من الفتك بهم حيث أنهم أمسوا فى جوارها ولأنهم أسارى فى يده ولا فخر فى قتلهم وقالت له (دول على البحرين) أى جهز عليهم مرة ثانية وخذ بثأر أخيه فحشد جنوده وسار بهم فلما وصل إلى (جزيرة قيس) بلغ خبره لحاكم البحرين الشيخ سلمان بن أحمد فأرسل له وفدا من وجهاء البلدة تحت رئاسة السيد عبد الجليل بن السيد ياسين الطباطبائى والشيخ حمد بن عبد الله بن أحمد فذهب الوفد إلى (جزيرة قيس) وتفاوضوا معه فى الصلح فتم بينهما الصلح

على ما يرام ولكن فرض عليهم مبلغاً عظيماً من الدراهم يؤدونه إليه سنوياً فقبلوا ذلك منه ثم فى الوقت نفسه تنازل لهم عن ثلاثة أرباع مطلوبة كرامة منه للوفد فى خبر طويل .

وأطلق سراح المسجونين من أهل البحرين ورجع إلى مقر حكمه ودفع الخليفون ربع ذلك الخراج الذى تقرر على يد الوفد بضع سنين ثم قطعوه عنه وبقى الشيخ سلمان بن أحمد حاكماً على البحرين إلى أن توفى سنة (١٢٣٦) فصار الحكم لأخيه الشيخ عبد الله ولكن نفوذه كان مقتصرًا على المحرق فقط وأما أمور قصبة الرفاع فالتقائم بشؤونها المهمة ومعاشه الجيوش فهو الشيخ خليفة والشيخ أحمد ابنا سلمان بل ربما عبر عنهما بأنهما استقلا بجزيرة المنامة وفى السنة المذكورة حصل فى البحرين طاعون شديد يسمونه الضرب الأول .

الفصل الثالث
في حكم الشيخ
عبد الله
وهو الحاكم الثالث

تولى الملك الشيخ عبد الله بن أحمد بعد وفاة أخيه سنة (١٢٣٦) وكان حازماً منصفاً فأحبته الرعية وعاضده ابنا أخيه الشيخ خليفة والشيخ أحمد ابنا الشيخ سلمان ولكنه لم يصف له الحكم لكثرة ما حصل فى زمانه من الفتن والثورات وخروج بعض الرعايا عليه فقضى حكمه فى كدر عظيم كما سيظهر لك منها .

محاربة رحمه ومقتله

بالرغم على ما أصاب رحمة الجلاهمة من الفشل والانحدار فى الوقائع المتقدمة زمن الشيخ سلمان لم يقنط من أخذ الثأر ولم تقعد همته عن الأمل بالفوز ونوال الأمانة فأعاد الكرة بقطع طرق البحرين بقتل الأنفس وسلب الأموال . فلما كانت سنة (١٢٤٢) دخل ذات يوم القطيف بسفينة المسماة (غطروشة) فجرد عليه الشيخ عبد الله السفن مملوءة بالمقاتلة وخرج بنفسه يقودها وبعيته الشيخ بن سلمان . فلما وصلوا (ميناء القطيف) حاصروه هناك .

فلما رأى رحمه أنه قد أحيط به شمر عن ساعد الجد وأمر برفع شراع سفينته وأقبل بها عليهم موجهاً صدر سفينته على وسط كل سفينة تعارضه لأجل أن يكسرها فتغرق . فتنحى الكل عنه حتى خرج إلى عرض البحر فكروا عليه وأحدقوا به من كان جانب وجعلوا يهاجمونه بصدور سفنهم فى بادئ الأمر (كعادتهم فى الحرب البحرى بالسفن) وكان رحمه كف بصره آخر عمره فجعل يسأل قومه عن السفن الهاجمة عليه ومن رئيسها فيخبروه وهو يقول . هذا لا يجسر على مقابلتنا وهذا سفينته ما تلحقنا . ومع ذلك فإطلاق

الرصاص من البنادق متبادل بين الطرفين حتى أقبلت سفينته فأخبروه بأن رئيسها الشيخ أحمد بن سلمان (فقال هذا يطابقنا ولا بد لأن جنبه لم يلامس ناعمات الأبدان) أراد بذلك أنه لم يتزوج . وفى المثل (مفعول الشباب أمضى من حد السنان) .

ثم بعد قتال شديد لاصقت سفينة الشيخ أحمد المذكور سفينة رحمه فتجالد الفريقان بالسيوف واشتد بينهم الضرب والطعان وتقارعا بأنواع الأسلحة الحديدية . وكان بجانب رحمة ابن له صغير وعبد المسمى (طارا) واقف على رأسه فجعل يسألهما عن المصادمات وعمن قتل حتى وصل أعداؤه إلى (الصارى) أى الدقل . ثم إلى الحاشية . ثم إلى (النيم) أى سطح مؤخر السفينة وكان حينئذ جالساً فى خزانة السفينة فأخذ ابنه وجعله فى حجره ثم عمد إلى نار فى رأس (النارجيلة) التى كان يشرب منها الدخان فألقاها فى ذخيرة البارود التى كانت تحته فانفجرت السفينة بهم وقتل هو وابنه ومن معهما متأسيًا بقول الزباء (بيدى لا بيد عمرو) وتسمى هذه الواقعة (ذبحة رحمة الجلاهمة) وذلك سنة (١٢٤٢ هـ) .

وقعة قزقر

وبعد مرور ستين على مقتل (رحمة بن جابر الجلاهمة) توجه ابنه بشر إلى مسقط لتحريض حاكمها السيد سعيد بن سلطان على مهاجمة البحرين متخذاً امتناع حاكم البحرين عن دفع (الدراهم) التى صار عليها الإنفاق بعد (وقعة سترة) وسيلة لإلقاء البغض فى صدر حاكم مسقط وإغرائه بإشهار الحرب على أهل البحرين انتقاماً لأبيه فحازت أقواله موقعها من القبول .

فجهز السيد سعيد سفناً كثيرةً شحنها بالجنود وسار بها حتى أرسى على ساحل البحرين أمام قرية يقال لها (الجفير) ثم أنزل جنوده إلى البر.

وكان لما علم الشيخ عبد الله بقدوم أعدائه حشد من جنوده جيشين مشاة وفرساناً فالأول تحت قيادته والثاني تحت قيادة الشيخ خليفة بن سلمان وبرز الكل للميدان. فى موضع يقال له (قرقر) ولما التقى الفريقان وحمى وطيس القتال أخذت سيوف عساكر البحرين مأخذها من المسقطيين وولوا الأدبار فطاردهم الفرسان. بجياد كأنها العقبان. حتى اضطروهم إلى اقتحام البحر طالبين سفنهم فغرق الكثير منهم. ولقد كان يصيد أهل البحرين السمك بعد مضى شهرين من الواقعة فيجدون فى بطونها بعض أعضاء المسقطيين.

وقد غنم جيش العتوب من المسقطيين سفينة شراعية كانت خصيصاً لركوب قائد الأسطول الشراعى (السيد سعيد) ثم إن بعض أبناء آل خليفة الصغار تشاجروا على امتلاك تلك السفينة فأمر الشيخ عبد الله عليها فأحرقت قطعاً للنزاع الحاصل بين الفتیان.

وقد حضر هذه الواقعة (مزيد بن هذال) مع خمسين رجلاً من قومه (العمارات) نصيراً لآل خليفة. أتاها زائراً فحصلت الواقعة فانضم وبرز معهم لميدان الوغى. وتسمى هذه الواقعة (وقعة قرقر) وذلك سنة (١٢٤٤) وقد أروها بقولهم (بالله سعيد غلب) ويقال أن عدد قتلى وغرقى المسقطيين نحو (٣٠٠٠) شخص ويستشهدون لذلك بقوله أهل مسقط أنفسهم من قصيدة نبطية.

عجائب يا بنى عتبه عجائب ثلاثة آلاف ما فيهم شايب

وأما خسارة أهل البحرين فطفيفة جداً قتل فيها شخص يقال له (ابن عرفة) وأما الجرحى فكثيرون.

وقعة سيهات

أوحرب القطيف

وفى سنة (١٢٤٩) تجدد الخلاف بين الشيخ عبد الله حاكم البحرين وبين تركى بن عبد الله أمير نجد فجهز الأول جيشاً بحرياً وسار به إلى (دارين) ففتحها. ثم تقدم إلى (تاروت) فاحتلها أيضاً ثم سار بسفنه إلى بلدة (سيهات) وهى بلدة من ملحقات القطيف فحاصرها فجهز تركى عبد الله جيشاً تحت قيادة ابنه فيصل فسار به حتى نزل (المريقيب) وهو موضع غربى سيهات. وبدأ القتال بين الفريقين فصار جيش البحرين ينزلون إلى البر نهائراً للقتال ويعودون إلى سفنهم ليلاً.

وكان فى مدة الحصار والقتال توفى الشيخ خليفة بن سلمان فى سفينة فنقل عليها إلى البحرين ودفن بها. ودام الحصار نحو (٤٠) يوماً. ثم تبين لأهل سيهات سوء العاقبة وعلموا بأنهم مهددون بخطر عظيم إذا فتحت بلدتهم عنوة حيث يكونون طعمة وسلباً للجيشين المدافع والمهاجم هذا من جهة. ومن جهة أخرى أن تقليدهم مذهب الشيعة قد عرضهم لاضطهاد أمراء نجد الوهابيين وظلمهم إياهم.

وتأكدوا عدل آل خليفة وحلمهم فراسلوا الشيخ عبد الله وعرضوا عليه تسليم البلد له على أنه يؤمنهم على أنفسهم وأموالهم فقبل ذلك ووفى لهم به واستولى على البلدة.

ومع ذلك فقد دام القتال مع النجديين مدة غير قصيرة بعد احتلال البلدة إلى أن بلغ فيصلا خبر قتل أبيه في نجد بيد ابن أخته مشارى بن عبد الرحمن السعود وكان ذلك في أواخر سنة (١٢٤٩) فاضطر فيصل للانسحاب عن سيهات إلى الإحساء ومنها توجه إلى الرياض حيث حاصر فيها قاتل أبيه. واشتد بينهما القتال أياماً ثم إن فيصلا عرض على ابن عمته (مشارى) الأمان على أن يخرج من البلدة فأبى (مشارى) وثبت يقاتل ويدافع عن نفسه إلى أول سنة (١٢٥٠) حيث تمكن جمع من محبى فيصل وفتحوا له باب السور فدخل فيصل البلدة وحاصر (مشارى) فى بيته فدافع عن نفسه مدافعة الأبطال حتى قتل. وكان قتله بعد مضى نحو (٤٠) يوماً على قتل تركى بن عبد الله كما ببناء فى تاريخ نجد وقد قتل فى حرب سيهات قائد جيوش فيصل المسمى (البواردى) وقتل من الفريقين خلق كثيرون. وتسمى هذه الحرب (وقعة سيهات) ويسمى أهل نجد (حرب القطيف) وذلك سنة (١٢٤٩) كما تقدم.

وكان لما انسحب فيصل عن سيهات اكتفى الشيخ عبد الله بها وعين عليها أميراً من قبله وقفل راجعاً إلى البحرين إذ لم يبلغه مقتل تركى ولا القتال الحاصل فى نجد. ثم بعد مدة بلغه ذلك فشرع يتأهب مرة ثانية للزحف على القطيف ولكن قبل تكامل قوته حدث بينه وبين أولاده خلاف أدى إلى (وقعة الحويلة) الآتى ذكرها. فاشتغل بتلافى ذلك الخلل عن فتح القطيف وغيرها. وآل ذلك النزاع إلى ضعف مملكة البحرين وضياع سيهات وغيرها وهكذا كل شقاق داخلى يؤدى إلى خلل خارجى (قال تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾).

وقعة الحويلة

كان للشيخ عبد الله بن أحمد عشرة أولاد. وهم مبارك، وحسن، وناصر، وحمد، وراشد، ومحمد، وأحمد، وعلى، وحمد الثاني، وراشد الثاني، وقد سمي الأخيرين باسمي أخويهما اللذين قتلوا في حروبه.

وكان أخوال (محمد وأحمد وعلى) من قبيلة (آل بن على) المشهورين بالشجاعة والثبات ووفرة الأموال. فحاول هؤلاء الأبناء الثلاثة انتزاع الملك من يد أبيهم معتمدين على توفر قوة أخوال الاقتصادية والسياسية. فبارحوا البحرين مغاضبين أباهم ونزلوا (الحويلة) بالتصغير اسم قرية في الطرف الشمالي من بر قطر. فاسترضاهم أبوهم وحذرهم عاقبة الغرور. والانشقاق. فلم يراعوا حقوقه ولا منزلته بل ولم يلتفتوا لكلامه فغاضه منهم عقوقهم له ووقاحتهم.

فأمر حفيد أخيه محمد بن خليفة بن سلمان بأن يتجهز لقتال أولاده وكان ذلك سنة (١٢٥٠) فلبى الشيخ محمد طلب عم أبيه وخرج نحو المذكورين بجيش عظيم وهاجم به الحويلة بحراً. وبعد قتال شديد انكسر (أبناء الشيخ عبد الله المذكورين) وأذعنوا لطاعة أبيهم وطلبوا العفو فعفى عنهم وفسح لهم بالعودة إلى البحرين فرجعوا إليهم خجولين من سوء صنيعهم وتسمى هذه الحادثة (وقعة الحويلة) وهى كانت السبب فى تفهقر الشيخ عبد الله عن الزحف نحو القطيف. وآل الأمر أيضاً إلى ضياع سيئات كما تقدم. ولله فى خلقه شؤون.

وقعة الناصفة

وفى سنة (١٢٥٨) حدث بين الشيخ عبد الله بن أحمد حاكم البحرين وبين حفيد أخيه (الشيخ محمد بن خليفة بن الشيخ سلمان) نزاع شديد على الحكم. وكان الشيخ محمد المذكور قد استعد للأمر فتمكن من حصر الحاكم فى جزيرة المحرق.

فجهز الشيخ عبد الله جيشين أرسل أحدهما المؤلف من بنى هاجر إلى ابنى أخيه محمد وحمود ابنى سلمان الساكنين فى الرفاع ليقوداه إلى قتال ابن أخيهما.

وقاد الثانى بنفسه متوجهاً به نحو (سوق الخميس) فلما بلغ الشيخ محمد بن خليفة الخبر جرد جيشاً ليصد جيش الشيخ عبد الله الأول عن الوصول إلى الرفاع وسار نحوه وقبل وصول الجيش الأول إلى الرفاع تلاقيا وتواقع الجيشان فى موضع يسمى (الناصفة) فى جزيرة سند فكانت الدائرة على جيش الشيخ عبد الله فانسحبوا إلى (الحورة) قرب مدينة المنامة. وتسمى هذه الحادثة (الناصفة).

وقعة سوق الخميس

ولما انكسر جيش الناصفة فى جزيرة سند ورجع إلى (الحورة) سار من هناك إلى (سوق الخميس) وانضم إلى الجيش الثانى الذى يقوده الحاكم الشيخ عبد الله.

فبرز الشيخ محمد بن خليفة لقتال عن أبيه بثبات جأش. وجرت بينهما معركة شديدة كانت نتيجتها انكسار الشيخ محمد بعد أن قتل أخوه دعيج بن

خليفة. وقتل للشيخ عبد الله حفيده محمد بن مبارك وتسمى هذه المعركة (وقعة سوق الخميس) وذلك سنة (١٢٥٨).

وقعة الحنينية

ولما انكسر الشيخ محمد بن خليفة بن سلمان (فى وقعة سوق الخميس) توجه نحو نجد بعد أن عمد أخاه الشيخ على بن خليفة بحشد جيش سرّاً تحت الطلب. وينتظر تعاليم أخيه فبدأ الشيخ على بجمع المقاتلة سرّاً ولما وصل الشيخ محمد بن خليفة إلى نجد تقابل مع (أمير الرياض) عبد الله بن ثنيان وطلب منه المساعدة فلم يساعده حيث أنه حديث عهد بالحكم. فرجع الشيخ محمد إلى قطر. وأرسل إلى قبيلة (آل ابن على) يستقدمهم. وهم إذ ذاك فى (جزيرة قيس) بن عميرة الكائنة قرب ساحل فارس. حيث أنهم ظعنوا من البحرين مغاضبين لحكامها فأتوه مسرعين. فجعل يحشد الجيوش حتى اجتمع لديه جمع غفير من قبائل العرب أخصها (آل بن على) ورئيسها يومئذ عيسى ابن طريف. و(النعيم) ورئيسها جبر بن ناصر. و (آل أبى كواره) ورئيسها محمد بن سعد. وكان معه بعض من عشيرتنا (آل نبهان) متابعين أحوالهم آل أبى كواره و (قبيلة الجلاهمة) ورئيسها بشر بن رحمة بن جابر.

فأرسل الشيخ محمد قبيلة النعيم أولاً. فى المقدمة إلى البحرين لأنه لم يكن لديه من السفن ما يكفى لحمل جميع الجيوش دفعة واحدة وأمرهم بأن ينضموا إلى ما يجمعه أخوه الشيخ على من المقاتلة. فلما وصلوا خرج لهم الشيخ على يقود جمعاً عظيماً. وكان معه سائر آل سلمان الخلفيين وأتباعهم ما عدا الشيخ محمد بن سلمان فإنه كان مع عمه الحاكم. وسار الشيخ على ابن خليفة بمن معه من الجموع نحو (الرفاع) حتى نزل قرب ماء يسمى (الحنينية).

والتقى هناك بجيش الشيخ عبد الله فتقاتلوا قتالا شديداً أسفر عن انتصار جيش الشيخ على فتقدم إلى الرفاع واستولى عليها.

ومن قتل في هذه المعركة الشيخ محمد بن أحمد بن سلمان آل خليفة وتسمى هذه الحادثة (وقعة الحنينية) نسبة إلى الماء الذي وقعت قربة وذلك سنة (١٢٥٨). أيضاً. وبعد أن استولى الشيخ على الرفاع وصل إليه أخوه الشيخ محمد بن خليفة ببقية الجيوش المتقدم ذكرها إلى البحرين ونزل بجموعه خارج البلدة من الجهة الجنوبية. ثم زحف بجموعه على المنامة فاحتلها. فتقلصت قوة الشيخ عبد الله إلى المحرق. ولم يبق بيده سواها.

وقعة المحرق

أووقعة الساية

ولما انحصر الشيخ عبد الله في المحرق عبر نحوها الشيخ محمد ونزل بجيوشه على ساحلها عند ينبوع ماء عذب في البحر يسمى (الساية) وبه سميت الواقعة. ثم أمر الشيخ محمد جميع قومه بأن يغرقوا سفنهم هناك. وذلك لئلا يتخذوها ملجأ لهم. فتحدثهم أنفسهم بالفرار عند المضايقة. (ولما انتهت الواقعة عادوا إليها فأخرجوها).

فبرز لهم الشيخ عبد الله بما عنده من الرجال فبعد مناوشة طفيفة انكسر جيش الشيخ عبد الله بدون انتظام واضطر الشيخ عبد الله بأن يتحصن ببعض رجاله في (قلعة أبي ماهر) الكائنة في جنوب المحرق واعتصم بعض أبنائه في (قلعة عراد) فلم يتعرضهم الشيخ محمد بل جعل يثبت أموره في داخل البلدة فتسرب غالب أهل القلاع مع الشيخ عبد الله إلى بلدان فارس فتفرق فيها معظم جيشه كل قبيلة في بلدة. ونزل هو بمن معه في موضع يسمى (نخل

هاشل) من بلدة (نابند) ولم يقتل فى هذه الحادثة سوى رجل مختل الشعور يقال له (صادق) وأما الجرحى فكثيرون.

ومن أصيب من الرأس الشيخ يوسف بن محمد بن إبراهيم آل خليفة بجراحات مثخنة مات بها بعد بضعة أيام. وكان مع الشيخ عبد الله بن أحمد جملة من عشيرتنا منهم حمد بن موسى بن نبهان بن أحمد النبهانى. وابنا عمه ناصر وسلطان ابنا نبهان بن أحمد وجملة من عائلاتهم وأتباعهم. وقد أرخ هذه الحادثة السيد عبد الجليل بن ياسين الطباطبائى بقوله:

ببعض ما جرى أتى تاريخه (بوقعة البحرين ذاب مال) وأرخها غيره بقوله: شرٌّ نَحَوَ شر. وذلك سنة (١٢٥٨) ثم سار بعض أولاد الشيخ عبد الله إلى (الدمام) بلدة من ملحقات الإحساء فاستوطنوها وسار الشيخ عبد الله إلى الكويت مستنجداً بحكامها (آل صباح) فلم يتحصل على مطلبه فبارحها إلى نجد لمقابلة أميرها للغرض نفسه فلم يتوفق أيضاً. وفى سنة (١٢٦٥) يمّم (مسقطاً) للاستنجاد بسلطانها السيد سعيد فلما وصلها أصيب بحصر البول فمات منه بعد أيام قلائل. وكانت مدة حكم الشيخ عبد الله على البحرين (٢٢) سنة: وكان فى زمنه من مشاهير العلماء الأجلاء الشيخ عبد المحسن الصحاف المالكى. والشيخ حسن الدوسرى ثم البصرى الشافعى.

الفصل الرابع
في حكم الشيخ
محمد بن خليفة
وهو الحاكم الرابع

استتب له الأمر وتم له الحكم بعد أن كسر عم أبيه في (وقعة المحرق) سنة (١٢٥٨) كما أسلفنا. وأفعاله خير شاهد على حزمة وأصالة رأيه ولقد كان شجاعاً شديد البأس وكان قد جمع بين الحلم والوقار والمهابة مع البشاشة. وكان له من صدق الفراسة والإصابة في الزكاء والذكاء لا سيما في تفسير رؤياه المنامية ما يكاد أن يجعله ملهماً حتى أنه قلما أخطأ في شيء من ذلك وله نوادر مشهورة بهذا الباب سأورد بعضها للفكاهة والاستشهاد إن شاء الله ومن دهائه أنه وضع في (قلعة أبي ماهر) فوق البرج الغربي من الجهة الجنوبية علماً عثمانياً: وعلى البرج الشرقي من الجهة المذكورة أيضاً علماً إيرانياً. فكان كلما تحكمت عليه إحدى الدولتين ادعى النسبة إلى الأخرى وهكذا تخلص من كل نفوذ بمداغة الواحدة بالثانية ولكن نتج من اضطرام نار الحقد في قلوب الأجانب الذين ساء لهم ارتباطه بالدولتين الإسلاميتين فحركوا عليه العرب وأمراءهم ولكن لشدة حزمه لم ينالوا منه شيئاً إلا بعد مضي (٢٦) سنة على حكمه.

وكان له (١٨) ابناً وهم خليفة. وأحمد وعلى، وجابر وسلمان وناصر وعبد الرحمن وحمد وعبد الله والشيخ راشد وعبد الله وسلطان وصقر. وعبد العزيز. وإبراهيم. والشيخ إبراهيم. والشيخ فارس وعبد الرحمن.

واشتهر في زمانه من العلماء. الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد المحسن الصحاف المالكي والشيخ راشد بن عيسى المالكي والشيخ حسن بن يوسف الطيور آل يوسف المالكي وتوفي في لنجه سنة (١٣١٥) وله رأيه في الرد على الوهابية نحو (٥٣) بيتاً والشيخ عبد المحسن بن جامع الحنبلي.

والشيخ عثمان بن جامع الحنبلى . والشيخ ملا محمد بن عبد الله آل محمود الشافعى تولى القضاء ثم استعفى عنه .

وقعة أم سويه وقتل عيسى بن طريف

وهو خراب الدوحة الأول

وبعد أن توطد الحكم للشيخ محمد بن خليفة وخضعت لسطوته غلب العشائر. أظهر عيسى بن طريف رئيس قبيلة (آل بن على) رغبته فى ولاية قطر وعرض بذلك إمام الشيخ محمد فأسند إليه الحكم فتوجه عيسى بن طريف نحو قطر مقر وظيفته مظهرًا الطاعة والإخلاص لآل خليفة وكونه عاملا لهم. ولكنه مبطن خلاف ما أظهر. وحينما وطئت رجله قطرًا. أخذ يجمع العشائر للحرب فبت طلبه جميع عشائر تلك الجهة ما عدا (قبيلة النعيم) فجهز تلك العشائر. بعد أن أرسل إلى أبناء الشيخ عبد الله المقيمين فى (الدمام) يستقدمهم إليه لإتمام مشروعه فأثاه منهم (الشيخ مبارك بن عبد الله) يقود جيشًا من بنى هاجر.

فاشتد عزمه على مهاجمة البحرين. وأرسل (إخطارًا) إلى حاكم البحرين أغلظ فيه القول ومما جاء فيه أنه قال يلزم عليكم أن تردوا (أملاك وأموال) الشيخ مبارك المغصوبة منه فى (سترة) وإلا (شقت شقالا يرفى) فعلم الشيخ محمد بن خليفة مرمى كلامه وفهم بأن ذلك (إعلان للحرب) وأرسل الكتاب مع الرسول إلى أخيه الشيخ على بن خليفة. وهو إذ ذاك بالمنامة يستطلع رأيه.

فقال الشيخ على لرسول عيسى بن طريف لما مثل بين يديه قل لصاحبك (أن الدم هو الذى يرفو ذلك الشق) فحشد الشيخ محمد جنوده ووجهها نحو

قطر تحت قيادة أخيه الشيخ على وسار المذكور حتى نزل في (المرونة) وهو موضع في الجهة الشرقية من قطر.

وكان لما امتنعت قبيلة النعيم من الانخراط في جيش ابن طريف تهددها بالحرب وشدد عليها الطلب في الانضمام معه. فأرسل رئيسها إلى الشيخ محمد حاكم البحرين يستغيث به ويستنجد به على ابن طريف. ففي الحال توجه الشيخ محمد في خاصة رجاله إلى قطر ونزل فوراً عند قبيلة النعيم ووجدها مستعدة للحرب. فلما بلغ عيسى بن طريف وصول الشيخ محمد قطعاً خشى من اجتماع جيشه بجيش أخيه الشيخ على فيعسر عليه ملاقاتهما. فبادر هو بالزحف نحو الشيخ محمد بجموعه المؤلفة من قبيلة المناصير ومعه الشيخ مبارك بن عبد الله يقود جموع بني هاجر. وفي ٩ ذى الحجة عام (١٢٦٤) التقى الفريقان على ماء يسمى (أم سوية) بالتصغير. وتقاتلا قتالا شديداً انتهى بقتل عيسى بن طريف وهزيمة جيوشه.

فأرسل الشيخ محمد إلى أخيه الشيخ على يخبره بالنصر فجاء إليه وهنأه بالظفر. ورجعا إلى البحرين حاملين لواء النصر. وتسمى هذه الحادثة (وقعة أم سوية. أو خراب الدوحة الأول) لأن بلدة الدوحة هي سكنى عيسى بن طريف فكأنها خربت بمقتله.

وعيسى بن طريف المذكور هو الذي فتح (بمباسه) من جنوب أفريقية مع عشيرته (آل بن على) مساعدة لحاكم مسقط وزنجبار السيد سعيد بن سلطان آل أبي سعيد (كما بينا ذلك في تاريخ مسقط).

وقعة تنورة

ووصول ابن سعود إلى مسيمير

قد وقعت كسرة (أم سويه) موقعاً سيئاً لدى الشيخ مبارك بن عبد الله والذى زاد همه وحرك فيه ثائرة الغضب وأخذ الثأر وفاة والده غريباً بمسقط كما تقدم عند (وقعة المحرق) فأخذ يخطط ويعد العدد لشفاء غليله إلا أن قلة أتباعه من جهة وحزم الشيخ محمد بن خليفة من جهة أخرى. قد حالاً دون نيل أمنيته فلما كان سنة (١٢٦٧) اتفق هو وأخوته الخمسة الذين كانوا معه فى الدمام (وهى قرية من توابع القطيف) على الاستنجاد بأمير نجد فيصل بن تركى بن سعود فأمدهم المذكور بجيش. ثم جمع جموعاً وسار بها بنفسه نحو قطر حتى نزل موضعاً يقال له (مسيمير) بالتصغير ليتمكن من إمداد جيش آل عبد الله البحرى.

فأركب آل عبد الله جيوشهم السفن مع ما تحصلوا عليه من المدد من سعود وساروا بالكل نحو البحرين.

ولما بلغ الشيخ محمداً خبر قدومهم نحو بلده بادر بتجهيز جيشين برى تحت قيادة أخيه الشيخ على وأرسله نحو قطر لمناجزة آل عبد الله وبحرى قاده الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن خليفة آل خليفة فالتقى الجيش البحرى بآل عبد الله عند موضع يسمى رأس (تنورة) وجرت بينهما معركة عظيمة أسفرت عن انكسار جيوش آل عبد الله بعد أن قتل رئيسهم الشيخ مبارك وأخوه الشيخ راشد ابنا الشيخ عبد الله. وقتل أيضاً من كبار خواصهم بشر بن رحمة الجلاهمة و (مريط) من بنى هاجر. وتسمى هذه الواقعة. (وقعة تنورة) وذلك سنة (١٢٦٧ هـ).

وقعة الدولاب

وفى سنة (١٢٧٠) جهز آل عبد الله جيشاً لمهاجمة البحرين وقرروا مهاجمتها على حين غفلة من أهلها. فلما دخل فصل الربيع وخرج أهل البحرين للغوص على اللؤلؤ حسب العادة رأى آل عبد الله الفرصة مناسبة للهجوم فجمعوا سفن (أهل قطر) وجعلوا يشحنوها بالرجال للمسير إلى البحرين.

فلما انقطعت سفن أهل قطر عن مسابلة البحرين. أحس بذلك الشيخ على بن خليفة بالملكة وتأكد له ذلك. وكان مقره يومئذ في المنامة وأخوه الحاكم في (المحرق) فأرسل الشيخ على إلى الحاكم يعلمه بانقطاع سفن أهل قطر. وأنه يخشى أن يكون ذلك لملكة هم عازمون عليها. ثم إن الشيخ على اتفق مع أخيه الحاكم على أنه إن هاجمه أحد (يطلق مدفعين فقط) علامة على ظهور طلائع الأعداء.

فلما كان اليوم الثانى من المذاكرة وصل آل عبد الله بجيوشهم ونزلوا أمام نخل يسمى (دولاب منى) فى مقاطعة (سنابس) من البحرين. وقبل أن يستكمل خروجهم من السفن بلغ الخبر للشيخ على فأمر فى الحال بإطلاق (إشارة) لأخيه الحاكم فى المحرق وبأدركهم هو بمن معه من الأبطال وأتاه أخوه راشد بن خليفة بجيش من الفرسان وهاجما الأعداء بما لديهم من القوة وكان بعضهم قد خرج من السفن فأصلياهم ناراً حامية بالمدافع والبنادق فبهت الخصم لما رآه من وفرة جيش البحرين وعظيم استعدادهم. بينما كان يظن أن البلدة خالية من الرجال بسبب (الغوص) وأهلها غافلون.

وبعد مناوشات طفيفة فر الأعداء إلى سفنهم لا يلوون على شىء ولم

يقتل منهم سوى عشرة أشخاص فقط ثم وصل الحاكم بجيشه من المحرق فوجد العدو قد انكسر بيسالة أخيه الشيخ على فأثنى على شجاعة أخيه وشدة حزمه وحسن فراسته وأصاله رأيه وعلو همته .

وكان فى ضمن جيش الشيخ على يومئذٍ الشيخ سالم بن درويش آل عجمى رئيس قبيلة (المناعة) وأحد شجعان العرب المشهورين وأرخوا هذه الواقعة بلفظ (خرّعت) لأنها خرعت العدو أى أرهبته ففر بدون قتال يذكر . وذلك سنة (١٢٧٠) وسميت وقعة الدولاب نسبة إلى دولاب نخل بلدة منى . والدولاب فى اصطلاحهم هو الناعور أى السوانى التى يستقى بها الماء .

وفى هذه السنة ولد والد المؤلف فنذكر ترجمة حالة استطراداً .





علامة الحجاز الشيخ خليفة بن حمد النبهانى. بلبسه فى الفيافى أثناء
تجوله فى وادى نعمان لهندسة (عين زبيدة) أخذ رسمه سنة ١٣٤٢

(ترجمة حاله) مع قسم من ترجمة عشيرتنا (آل نبهان فنقول) أنهم منسوبون لنبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء أبى القبيلة المشهورة بالكرم (كما سنذكر ذلك عند قبائل الحجاز).

ومنهم زيد الخير النبهانى الصحابى الشهير الذى وفد على النبى ﷺ فى وفد طيء فأسلم فسماه النبى ﷺ زيد الخير. وكان قبل ذلك يسمى زيد الخيل لكثرة ركوبه لها فى المعارك والغزوات وقال له النبى ﷺ (ما وصف لى أحد فى الجاهلية ورأيت فى الإسلام إلا رأيتك دون وصفه غيرك وهو الذى جز ناصية عامر بن الطفيل ١ هـ من الاستيعاب لابن عبد البر).

ومكث زيد الخير بالمدينة المنورة بعد أن أسلم يغزو مع الصحابة إلى زمن خلافة أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث قفل راجعاً إلى وطنه (حائل) فأدرسته منيته فى الطريق قبيل وصوله حايلاً فمات رحمه الله.

ولم تزل آل نبهان وطفء يفتخران به. ولذلك يقول بن مقرب فى قصيدته النونية التى قالها سنة (٦٠٢ هـ).

وجاءت بأولاد التبائع حمير

ومدت بضبيعيها إلى الفخر كهلان

وقالوا لنا الأنصار أوس وخزرج

وحسبك من فخر له الذكر والشان

وجاءت بنو كعب بعبد مدانها

وطالب (بزيد الخير) طيء ونبهان

وعدواً على العلات أوساً وحلقا

على ثقة أن لا يساميه إنسان

ومن مشاهير بنى نبهان أيضاً (عروة بن زيد الخير) النبهاني وهو الذي فتح الري ودستبى في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه . قال ياقوت في معجم البلدان - قال لوط بن يحيى كتب عمر رضى الله عنه إلى عمار بن ياسر وهو عامله على الكوفة بعد شهرين من فتح نهاوند يأمره أن يبعث عروة بن زيد الخير النبهاني إلى الري ودسبى في ثمانية آلاف ففعل وسار عروة النبهاني لذلك فجمعت له الديلم وأمدوا أهل الري وقاتلوه فأظهره الله عليهم فقتلهم وذلك سنة عشرين من الهجرة . ١ هـ وكان سكنى بنى نبهان أرض حایل ومنبئين بين جبلى طى (أجا وسلمى) ثم تفرقوا في الفتوحات الإسلامية فنزل بعضهم نواحي اليمامة . وبعضهم استوطن بر قطر . وقسم منهم سكنوا عمانا (وكانت جدود المؤلف) ممن نزلوا أخيراً (بر قطر) في حدود القرن العاشر من الهجرة قرب الزبارة ومكثوا هناك زمناً طويلاً . ثم انتقلوا إلى (جزيرة أوال) ثم لما تغلب على الجزيرة الإيرانيون رجع آل نبهان إلى قطر وسكنوا الزبارة . ثم لما حمل الخليفيون على جزيرة البحرين سنة (١١٩٧) وتم لهم النصر على الجزيرة عاد آل نبهان واستوطنوا (جزيرة البحرين) . ثم لما حصلت الفتن الأخيرة بين الخليفيين من عام ١٢٥٨ إلى ١٢٨٦ كما هو سيوضح .

فكان بنو نبهان منقسمين قسمين قسم مع آل عبد الله الحكام السابقين . وقسم مع آل سلمان جدود الحكام الحاليين من الخليفيين فلما تغلب الحزب الثانى فر من البحرين غالب الحزب الأول بمن تبعهم إلى (فارس) ثم لما هدأت

الفتنة. رجع بنو نبهان إلى (الدمام) من ملحقات الإحساء مع أخوالهم (آل أبي كؤارة) وتبادلوا الصلح مع آل سلمان ولما تم ذلك رجع جميع آل نبهان إلى جزيرة البحرين.

فاستحسن الشيخ خليفة بن حمد بن موسى بن نبهان سكنى مكة المشرفة رغبة منه في طلب العلوم الراقية. فوجهه والده إليها في أواخر سنة (١٢٨٧) مع والدته وسنه يومئذ ١٧ حيث أن والدته كانت سنة (١٢٧٠) كما تقدم فسكن أم القرى مع أمه. ثم بعد بضع سنين لحقه أبوه حمد بن موسى المذكور واستوطن مع ابنه مكة المشرفة إلى أن أدركته منيته بأشرف البقاع في (٢٤ ذى الحجة عام ١٢٩٩) ودفن بالمعلّى في القسم المسمى (بالسليمانية) وهذا دليل على سعادته وحسن نيته حيث قضى نحبه بأرض قبلته رحمه الله. ثم توفيت والدته الشيخ خليفة سنة (١٣٠٠) ودفنت في المعلّى أيضاً في القسم المسمى (بشعبة النور) خلف ضريح عبد الله بن الزبير بن العوام رضى الله عنهما.

وظل الشيخ خليفة بن حمد مثابراً على طلب العلوم العالية والمعارف الراقية في المسجد الحرام حتى ارتقى إلى درجة التدريس والتأليف وهو ميال إلى عدم التظاهر والافتخار. متواضع للكبار وللصغار. حليم شجاع كريم النفس ذو همّة عالية ورأى مصيب تستشيريه وتستنصحه الأبعاد والأقارب في الأمور المهمة ويقر له الكل ذلك: وله مهارة تامة في الرمي بالبندق ومعرفة كاملة في غوص البحار (حيث أنه قد مارس استخراج اللؤلؤ مدة من الزمان). ثم تأهل بزوجة من آل بنى حديد من الشيايين (أى بنى شيبان) بن سعبلة بن عكابة فرزق منها بذكوراً وإنائاً فأكبر الذكور هو نجله الشيخ محمد (المؤلف) وكانت ولادته سنة (١٣٠١).

ثم فى زمن إمارة الشريف عون الرفيق بن محمد بمكة المشرفة عين الشيخ خليفة المذكور إماماً فى محراب السادة المالكية بالمسجد الحرام فباشـر تلك الوظيفة الدينية فى غرة محرم من عام (١٣٢٣) ولم يزل بها إلى اليوم . ثم حاز (مرسوم التدريس) بالمسجد الحرام وعد فى عقد علماء مكة العظام وذلك فى رجب من العام المذكور ثم عين مهندساً لتعمير عين زبيدة الزعفران من سنة (١٣٢٦) ثم انضمت له رآسة تقسيم عين زبيدة فى داخل مكة .

وفى أثناء اشتغاله بهندسة تعمير العيون ألف عدة تأليف عظيمة الشأن جلها فى فن الهيئة وعلم الميقات . منها كتابة (الوسيلة المرعية لمعرفة الأوقات الشرعية) وكتاب ثمرات الوسيلة لمن أراد الفضيلة فى العمل بالربع المجيب) . وهو الذى مدحه الحاج أحمد حمدى بن ملا حسين البصرى بقوله :

هو العلم كم فى الناس يعلو به كعب

هو المجد إلا أن أدراكه صعب

ولا يدرك الآمال من لم يكن لها

صبوراً ولم يعى ولو صادف العطب

وهل تحسبن المجد تمراً تلوكه

وهل تملك البلدان إن لم يكن حرب

فكافح جهالات الهوى تحظ بالذى

تروم من العليا وماذا لكم لعب

لعلك قد تمسى وأنت مقارب

(خليفة النبهان) فى بعض ما تصبو

ففخر بنى طيى لنبهان فى الورى
 وفخر بنى النبهان هذا الفتى الرحب
 فذاك الذى حاز المعالى بأسرها
 بجـد ولم يك ممن يعله النشب
 فقد هجر البحرين مسقط رأسه
 وآثر بيت الله فهو له حسب
 فصار له الباع الطويل بأكثر الفنون
 وفى طول المدى لم تزل تربو
 فيوماً فقيهاً قد تراه وآخرًا
 يعانى حساب النجم والشمس منكب
 وطورًا تراه فى الصحارى مهندسًا
 فيجـرى عيونًا فى عيون لتنصب
 وأخرى ترى فى الشعر تطرد خيله
 فتكبو جياذ العالمين وما تكبو
 وأما سجاياه فأكرم بمثلها
 وليس له مثل إذا عظم الخطب
 فقل له شبهه وقل مماثل
 وهل أعظم الأعمال إلا له تصبو

وقد ساح إلى أفريقيا وآسيا الكبرى وجزائر هولانده . ففى سنة
(١٣٠١) وصل البصرة والبحرين .

(١٣٠٥) وصل جزائر جاوى (سنقفوره إلى فلفلان وسر بايا وما
والاهم .

(١٣١٣) "مسقط والبصرة والبحرين" .

(١٣١٥) "عدن ثم إلى زنجبار (ودار السلام) ولامو بأفريقيا" .

(١٣١٧) "البصرة والكويت والبحرين" .

(١٣٢٠) "وصل البصرة والبحرين" .



المؤلف الشيخ محمد بن العلامة الشيخ خليفة النبهاني

بزي أسلافه. أخذ رسمه (١٣٤٠) بالبحرين

محاصرة الدمام أو شد الدمام

الشد فى اصطلاحهم هو المحاصرة البحرية فقط . ولما انكسر آل عبد الله وفروا إلى مقرهم فى (الدمام) جهز الشيخ على بن خليفة سفناً كثيرة شحنها بالرجال وسار يقودها نحو الدمام وحاصرها وشد الحصار عليها ولم يقصد من ذلك إلا كسر شوكة آل عبد الله وإضعاف قوتهم المعنوية بتعطيل مصالحهم .

فجعل آل عبد الله يحشدون جنودهم لحماية البلدة وأمرهم بالمراقبة على ساحل البحر خوفاً من غارة فجائية تحدث من خصمهم المربط فى البحر أمامهم . ولبت الشيخ على محاصراً لهم نجد أحد عشر شهراً . يراقب بالناظور حركاتهم . فأبصر ذات يوم بالناظور إبل آل عبد الله يخرج بها الرعاة كل يوم قبيل الظهر ليوردوها من ماء فى جنوب البلدة . فأرسل إلى أخيه يطلب منه قوماً من الفرسان فأرسل له مطلوبه فلما وصل الفرسان تحت قيادة الشيخ صقر بن محمد بن على بن خليفة أمرهم بأن يذهبوا بخيلهم فى السفن إلى جنوب البلدة . ويكمنوا هناك إلى ورود الإبل الماء فيغيروا عليها ويستاقوها إلى البحرين ففعلوا فلما جاءت الإبل للورود حسب العادة أغار عليها الفرسان من مكانهم واقتطعوا منها نحو أربعين ناقة عمانية . وفر رعاتها يستصرخون آل عبد الله من داخل البلدة فخرجوا فى طلبها . وكان الشيخ على يراقبهم بناظوره وهو فى البحر . فلما رأهم خرجوا فى طلب الإبل خشى من أن يدركوها قبل تكامل نقلها إلى السفن فعند ذلك أقلع من مكانه وتقدم بسفنه الحربية نحو البلدة وأطلق عليها البنادق مظهراً عزمه على احتلالها فأرسل أهل البلدة الخبر لآل عبد الله فتركوا طلب الإبل ورجعوا

مجددين بجيشهم إلى محافظة البلدة وصدد هجوم الشيخ على فتبادل إطلاق
البنادق بين الطرفين برهة من الزمان إلى أن أبعدت السفن عن الساحل بالإبل
المنهوبة.

فكف الشيخ على بن خليفة عن القتال وتم له ما أراد من المغنم وقفل
راجعاً إلى البحرين وذلك سنة (١٢٧١) وتسمى هذه المحاصرة البحرية (شد
الدمام).

فرع

وفى سنة (١٢٧٥) أرسلت الدولة العلية العثمانية وفداً إلى البحرين
تحت رئاسة المير الآي من عرضى بغداد (محمد بيك الديار بكرى) ومن
البصرة (عبد القادر أفندى باشكاتب ولاية البصرة). فاتجهوا مع حاكم البحرين
(الشيخ محمد بن خليفة) وطلبوا منه رفع العلم العثمانى على جميع مملكته
فلبى طلبهما وأوعدهما برفعه بعد إفهام العشائر المقصود من ذلك ثم رفعها
بالفعل وذلك فى زمن ولاية مدحت باشا على بغداد (كما أشرنا إلى ذلك فى
المقدمة) عند مباحث خليج البصرة.

فصل في الصلح
الحاصل بين الحاكم
الشيخ محمد وأولاد
عم أبيه

ولما كانت سنة (١٢٨٠) شعر بل تيقن آل عبد الله بعجزهم وضعفهم عن مقاومة الحاكم الشيخ محمد بن خليفة ومحاربتة فوسطوا أمير نجد (فيصل ابن تركي) في الصلح بينهم وبين حاكم البحرين نتذاكر في الصلح مع الحاكم فسر بذلك وعفى عنهم وسمح لهم بالعودة إلى البحرين ولما جاؤوها أنعم عليهم وأكرمهم غاية الإكرام لتزول الضغائن والأحقاد وهم أظهرها له المحبة والخضوع مع الاحترام. فتباشر الناس بالسلم وحقن الدماء. وأرخوا ذلك بلفظ (فرغ) إشارة إلى فراغ النزاع وانصرام حبله. إلا أنه لم تتحقق أمنيته كما قيل:

ويمكن وصل الحبل بعد انقطاعه

ولكنه تبقى به عقدة الربط

وقعة الوكرة

وفي سنة (١٢٨١) توجه الحاكم الشيخ محمد بن خليفة إلى مكة المشرفة لأداء فريضة الحج. ولما عاد إلى وطنه وجد أن أهل قطر عصوا على عامله الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن سلمان آل خليفة فأرسل الحاكم عامله المذكور يأمره بالقبض على رئيس قبيلة النعيم (على بن ثامر) ويرسله إلى البحرين.

ففعل العامل ما أمره به فلما جرى برئيس النعيم إلى البحرين سنة (١٢٨٢) زج في السجن فغضب لذلك قومه وتجاهروا بمناوأة حاكمهم وفي سنة (١٢٨٣) استنجد بالشيخ قاسم بن ثاني (الذي صار أخيراً حاكم قطر كما

بيناه فى تاريخ قطر) فأمدهم بجيش من الرجال قاده بنفسه للقبض على العامل (الشيخ أحمد المذكور) وإخراجه من بلدهم . وكان الشيخ أحمد إذ ذاك (بالوكرة) وهى قصبة قطر . فلجأ إلى قلعتها فشدوا عليه الحصار فيها حتى كادوا أن يحتلوا القلعة . ولم تكن لديه قوة كاملة للدفاع فاضطر إلى الفرار فتمكن ذات ليلة من الفرار على حين غفلة من أعدائه فتدلى من خلف القلعة على ساحل البحر مع بعض خواصه وذلك بمساعدة راشد بن مبارك بن خاطر آل أبى عينين . فتوجه إلى (الخوبر) وهو موضع فى الطرف الشمالى من بر قطر . ومن هناك أرسل يخبر الحاكم بما جرى . وكان فى أثناء تدليهم من القلعة غرق فى البحر الشيخ عبد المحسن بن عبد العزيز بن على بن محمد بن خليفة . وتسمى هذه الحادثة (وقعة الوكرة) .

ولما خاب أهل قطر ولم يظفروا بقبض الشيخ أحمد بن محمد أرسل زعيمهم الشيخ قاسم بن ثانى إلى حاكم البحرين الشيخ محمد بن خليفة كتاباً أغلظ فيه بالكلام وخيره بين أن يعزل عنهم عامله الشيخ أحمد بن محمد المذكور ويطلق سراح على بن ثامر رئيس قبيلة النعيم . ويعطيهم شبه استقلال إدارى .

وإلا فإنهم يخلعون طاعته بتأتا ويلتجئون إلى حكم غيره (يشير بذلك إلى الانضمام إلى أمير نجد آل سعود) فغضب الشيخ محمد بن خليفة من غلاظة خطابهم وتهورهم فى الكلام . ولم يجبههم إلا بالتجريد عليهم فساق نحوهم جيشاً عظيماً تحت قيادة أخيه الشيخ على بن خليفة . فلما وصل المذكور بالقوة التى معه نزل فى موضع من بر قطر يقال له (أبا عمران) ومنه سار بجموعه مجدين فى السير رجالة وركباً نحو (الدوحة) فلما وصلوها

وهى بلدة التأثيرين وضعوا فيهم السيوف على حين غفلة منهم حتى أخذلوهم وألحقوهم للفرار بأنفسهم تاركين بيوتهم وأموالهم وتفرقوا شذراً وخرجت تلك البلدة. وكانت هى قصبة قطر. فلذا سميت هذه الحادثة (خراب الدوحة الثانى) وذلك سنة (١٢٨٣).

وأما خراب الدوحة الأول فهو بقتل عيسى بن طريف وقد تقدم الكلام عليه فى محله.

وقعة الحمور

ولما رأت قبيلة النعيم وبال أمرها وذاقت عاقبة نكرها استوحشت من الإقامة فى منازلها خشية أن يصيبها بطش الحاكم الشيخ محمد مثل ما أصاب غيرها فرحلت عن قطر. فبلغ الشيخ أحمد بن محمد المذكور خبر ظعنهم فتبعهم فى أثرهم بجيش مؤلف من (العجمان) ورئيسهم منصور بن محمد الطويل. ومن (الناصر) وعليهم مانع ومحمد بن سالمين. ومن لفيف من بنى هاجر فأدركهم فى موضع يسمى (الحمور) وحصلت بينهما معركة عظيمة أسفرت بقتل الشيخ أحمد بن محمد المذكور وقتل الشيخ خليفة بن عبد الرحمن (الأجير) من آل خليفة. ثم تفرق الجمعان متناصفين. وسميت هذه الحادثة (وقعة الحمور) وذلك سنة (١٢٨٣) أيضاً.

وقعة دامسة

ثم إن أهل قطر البالغين فيها بعد الكسرتين راسلوا (فيصل بن تركى أمير الرياض) يستنجدونه ضد الخليفين ويطلبون المساعدة. فبلغ الخبر لحاكم البحرين الشيخ محمد بن خليفة فشرع يحشد الجيوش ولم يظهر لأحد قصده من ذلك التجمع ولكن فهم (الشيخ قاسم بن ثانى) بقرائن الأحوال أنه هو

وقومه المقصودين بتلك الجموع وخشى من عاقبة الأمور: فبادر بالتوجه نحو البحرين ليلتمس من حاكمها العفو والصفح عما جرى منه (من الأغلاظ في مخاطبة الحاكم بالكتب التي أرسلها إلى البحرين كما تقدم عند وقعة خراب الدوحة):

فلما وصل الشيخ قاسم البحرين أمر الحاكم عليه بالسجن فزج فيه ولم يتمكن من مواجهة الحاكم ليبدى عذره. فهاج أهل قطر لذلك وماجوا وأجمعوا على مهاجمة البحرين لإطلاق سراح أميرهم. وكان زعيم هذه الثورة ناصر بن جبر رئيس قبيلة النعيم فركبوا سفنهم وأقلعوا بها متوجهين نحو البحرين. وهم يرتجزون بهذا لنبط:

حرم عليك الصلح منا ما دام قاسم في الحديد
لا بد ما تارد سفنا بالسيف مصقول الحديد

يعنون بالخطاب حاكم البحرين: فلما أقبلوا على البلدة وجدوا جيوشه مستعدة في السفن ومتأهبّة للقتال: فتلاق الجمعان عند محل في البحر يسمى (دامسه) وكان ذلك (في ٧ ص عام ١٢٨٤) وتشابكت السفن بعضها ببعض بكلايب الحديد. وتراكت على ظهر السفن الصفوف. واشتد الضرب بالسيوف وتساقطت في البحر جثث الرجال. حتى احمر وجه البحر من دماء الأبطال فانكسر أهل قطر كسرة شنيعة. وكانت هذه الحادثة هي آخر معركة في جزيرة البحرين: وبسببها تداخلت الأجانب كما سيوضح لك:

ولما رجع أهل قطر إلى مقرهم بعد انكسارهم حشد الشيخ محمد جموعه في السفن وسار بأسطوله الشراعى نحوهم وحاصروهم مدة: ثم اقتضى رأيه بإنزال الجنود إلى بر قطر ليطاردوا أهل قطر في أرضهم: فاضطر

أهل قطر التقهقر فزحف الخلفيون نحوهم فانفصلت من أهل قطر فصيلة وتوجهت نحو الساحل لتقطع على الخلفيين (خط الرجعة) فأدرك الخلفيون المكيدة فانسحبوا مسرعين نحو سفنهم فطاردهم عددهم حتى منهم (الشيخ إبراهيم بن علي) أسيراً وكان أخوه الشيخ عيسى بن علي صغير السن يومئذ فلما أثقله السلاح وطول السير ركب على ظهر عبد له وانتخاه: فجاد العبد حتى نجا بسيده وأوصله السفن سالمين وبقي الشيخ إبراهيم مأسوراً عند أهل قطر في نظير (زعيمهم الشيخ قاسم بن ثاني) فتبادلا بهما:

فصل فى الخلاف
الواقع بين حاكم
البحرين والإنكليز
وبينه وبين أخيه
الشيخ على

كان قد عقد اتفاق بين الحاكم الشيخ محمد وبين معتمد بريطانيا الذي كان مقره فى أبى شهر: ومن جملة مواده أن يتنازل الحاكم الشيخ محمد عن حقه فى تجهيز الجيوش البحرية وأن لا يتخذ سفناً حربية وفى مقابلة ذلك الاتفاق يتعهد المعتمد البريطانى بالنيابة عن حكومته فى رد كل غارة بحرية تحدث على البحرين .

فلما حدث هجوم جيش القطريين على البحرين فجائياً: ولم يكن وقعت لإشعار المعتمد البريطانى وهو فى أبى شهر خشى الحاكم الشيخ محمد على مملكته من الأعداء . إذا لبث يخابر المعتمد وينتظر النجدة منه فبادر الشيخ محمد بالذب عن ملكه وبرز بأسطوله الشراعى وأوقع بالأعداء (وقعة دامسه) المتقدم ذكرها .

فاتخذ المعتمد ذلك الدفاع ذريعة إلى التداخل بشؤون البحرين وجاءها على بارجته لمعاقبة حاكمها على مخالفته نصوص الاتفاق . ولما بلغ الشيخ محمد خبر توجه المعتمد نحو البحرين رأى أولوية الميل إلى اللين والمسالمة . فتوجه إلى قطر لبعض الشؤون بعد أن فوض أخاه الشيخ على بمصالحة المعتمد البريطانى على ما يريد من المال . وإن كان المعتمد غير محق فى دعواه لأن الحاكم الشيخ محمد كان مضطراً لصد غارة أهل قطر ولو تريث قليلا لفقد ملكه وخاطر بنفسه وأهله . وعد المعتمد ذهاب الشيخ محمد إلى قطر اعتراضاً بالنكث .

فأمر بارجته بإطلاق المدافع على (قلعة أبى ماهر) فهدمتها وحطمت العلمين العثمانى والإيرانى اللذين كان قد وضعهما الحاكم عليها . ثم أمر

بحرق أسطول البحرين الشراعى فحرق منه ثلاث سفن كبار حربية كانت
خصيصاً للحاكم. وطلب من الشيخ على بن خليفة بأن يتقلد حكم البحرين
بدلاً من أخيه الذى سقط حكمه بمخالفة العهد على زعمه.

وبعد جدال شديد وإلحاح عنيف رضى الشيخ على بأن يتولى حكم
البحرين عوض أخيه. فأدى ذلك إلى الخلاف الشديد بين الأخوين وفى سنة
(١٢٨٥) أضطر الشيخ محمد الحاكم سابقاً إلى مبارحة البحرين فتوجه إلى
الكويت. ولسان الحال يقول:

إذا لم يسلك الزمان فحارب وباعد إذا لم ينتفع بالأقارب

فتوطد للشيخ على بن خليفة الملك على البحرين. وبذلك نال الأجانب
بغيتهم من وقوع الشقاق بين الأخوين الأمر الذى لو دام بين العائلة لأدى إلى
الضعف والانحطاط (لا سمح الله) ولكن لولا حكمة سمو الحاكم الحالى
صاحب العظمة الشيخ عيسى بن الشيخ على بن خليفة وحزمه وسعيه فى
تأليف القلوب لبلغ ذلك إلى ما هو أعظم وأخطر منه. وإلى ذلك أشار سمو
الشيخ إبراهيم بن الشيخ محمد بن خليفة فى العينية التى رثى بها والده
المرحوم:

وما زالت العليا تسمو	وفعلك فى علا العليا الذراع
إلى أن تم أمرك فى قضاء	لركن المجد صار به انصداع
فنازعك الشقيق وكان قدما	حسامك والأمور لها انتزاع
وأغرى الدهر بينكما وهاجت	على الإفساد بينكما الرعاع
وأجرى الله أمراً قد قضاه	وكل قد أضرب به النزاع

الفصل الخامس
في حكم الشيخ على
وهو الحاكم الخامس

ولما استتب الحكم للشيخ على بن خليفة بن سلمان على البحرين سنة (١٢٨٥) وأرخت بلفظ (غرفه) فكر آل صباح حكام الكويت بعاقبة النزاع بين الشقيقين فسعوا في الصلح بينهما فأرسل حاكمها الشيخ عبد الله بن صباح كتاباً صحبة أخيه الشيخ محمد إلى الشيخ على بن خليفة ينصحه ويحذره من الانشقاق وتفرق الكلمة ويلتمس منه إرجاع الأمر إلى ما كان عليه. وبعد مذاكرة طويلة رضى على بإرجاع الحكم إلى أخيه الحاكم السابق. فرجع الشيخ محمد آل صباح فبشر أخاه الشيخ عبد الله بما تم من الصلح.

فاستسر بذلك. وعرضاً على الشيخ محمد بن خليفة بأن يسير إلى مقر حكمه وصحبه بسفنهم إلى البحرين. ولما قاربوها تقدمهم الشيخ عبد الله آل صباح بسفينته ليخبر الشيخ علياً بقدوم أخيه الحاكم ليأمر بتنظيم حفلة الاستقبال. فوجد الشيخ علياً قد رجع عن فكرة الأول وأصر على عدم التنازل عن الحكم لأخيه وكان ذلك بسعى الأجانب الذين يودون دوام الانشقاق بين الأخوة ليستفيدوا من ذلك.

لا يحكم الصياد أشباكه إلا إذا عكر بطن الغدير

فرجع الشيخ عبد الله آل صباح في سفينته وخرج إلى عرض البحر حيث اجتمع بأخيه وبالشيخ محمد بن خليفة وأخبرهما بنقض الصلح (ليقضى الله أمراً كان مفعولاً) وطلباً منه أن يعود معهما إلى الكويت فأبى وشكرهما على حسن صنيعهما. واعتذر لهما مما نالهما من التعب والفشل بدون نتيجة. وطلب منهما أن ينزلاه في (دارين) لأخذ الأهبة في مهاجمة البحرين فأنزلاه فيها وعاد إلى مقرهما.

وقعة الضلع

ثم جهز الشيخ محمد بن خليفة من (دارين) جيشاً من بنى هاجر . وأتاه أيضاً الشيخ ناصر بن مبارك آل عبد الله وعقد معه اتفاقاً ومعاهدة وأ، يساعده بنفسه وبأمواله وسار بالفعل معه فى ضمن أتباعه . وتوجه الكل نحو البحرين ولما نزلوا من سفنهم إلى البر خرج لهم الشيخ على بن خليفة بجيش عظيم ومعه بقية آل عبد الله بخيلهم ورجلهم وعليهم الشيخ محمد بن عبد الله . إلا أن الشيخ علياً ارتاب منهم لما بلغه اتفاق أخيه مع أخيه الشيخ محمد . فطلب منهم تجديد المعاهدة فعاهدوه مرة ثانية . ثم أنه عند ابتداء المهاجمة أرسل الشيخ على ابنه الشيخ إبراهيم إلى آل عبد الله فى محل مخيمهم (معسكر) يأمرهم بمهاجمة جيش الأعداء فأظهروا له الامتثال ولكن عند انعكافه راجعاً إلى معسكر أبيه كر عليه الشيخ محمد بن مبارك آل عبد الله ورجل من بنى هاجر قطعنه برمح أرداه قتيلاً عن ظهر فرسه . وتظاهر آل عبد الله إذ ذاك بعداوة الشيخ على ومحاربتة عند زحفه على صفوف أعدائه .

ثم التفت جيوش الشيخ محمد والشيخ على وآل عبد الله وتقاتلوا قتالا عنيفاً . فالتحمت الصفوف . واختلطت الرماح بالسيوف . ولعبت الأسنة بالتروس . ووطئت الخيل بسنابكها الرءوس . فأسفرت تلك المعركة عن قتل الشيخ على بن خليفة وتفرق جيوشه وفرار أتباعه إلى بر قطر . فعاد حكم البحرين للشيخ محمد بن خليفة .

وكان قد عوقب آل عبد الله على نكثهم العهود بأن قتل ابن أخيه الوحيد محمد المشهور بالحباب خطأ قبيل المعركة ولا يعرف له قاتل وممن قتل فى هذه المعركة من المشهورين الشيخ خليفة بن على بن خليفة بن مقرن آل

خليفة. والشيخ سلطان بن عبد الرازق بن إبراهيم آل خليفة والشيخ راشد بن عبد الرحمن بن راشد آل فاضل . وكانت هذه الحادثة في (٢١ جمادى الثانية عام ١٢٨٦) وأرخوها بقولهم (ومن لأوال خربت) وكان للشيخ على بن خليفة (١٢) ابنًا وهم عبد الله وإبراهيم وسمو الحاكم الحالى صاحب العظمة الشيخ عيسى وأحمد والشيخ: خالد وجبر: وصقر وحسن ومنصور: وناصر وعبد الله الثانى: وداود وراشد ويوسف:

الفصل السادس
في عود الشيخ
محمد بن خليفة إلى
الحكم وغدر
آل عبد الله به

كان من أقصى آمال عبد الله أن يبلغ الحال بآل سلمان إلى ما بلغ إليه من الانشقاق والخلاف: وحينما عاد الشيخ محمد بن خليفة للحكم بعد قتل أخيه رأوا الفرصة مناسبة فادعوا أنهم هم السبب في انتصار الشيخ محمد وببأسهم عاد له ملكه ثم تجاوزوا ذلك إلى الادعاء بأنهم أحق بالملك منه وجعلوا ينتظرون الفرر ويتحينون الفرص إلى أن تمكنوا ذات يوم من القبض على الحاكم الشيخ محمد بن خليفة فسجنوه في (قلعة أبي ماهر).

وتولى أخوهم الكبير (الشيخ محمد بن عبد الله) حكم البلدة وتناسوا العهود والمواثيق التي أبرموها مع الحاكم للذكور: وإلى ذلك أشار سمو الشيخ إبراهيم بن محمد في العينية بقوله:

وصار الأمر بعد كما لقوم له جـبلوا ولكن لم يطاعوا
وهم نكثوا العهود وهم ضاعوا حقور لله فانتكثوا وضاعوا
فعند ذلك توجه الشيخ عيسى بن الشيخ على إلى قطر ونزل على قبيلة النعيم وتبعه سائر أخوته وبنى عمه الشيخ محمد بن خليفة ما عدا أخيه أحمد بن الشيخ على فإنه توجه إلى نجد فقام ضيفاً لدى (الأمير عبد الله بن فيصل آل سعود) إلى أن ارتقى أخوه الشيخ عيسى عرش مملكة البحرين وسوى جابر بن الشيخ محمد الذي كان قد توجه إلى نجد أيضاً بأمر من والده لما كان مقيماً في الكويت ولما قفل راجعاً من نجد ووصل الإحساء بلغه خبر رجوع والده على حكم البحرين ثم غدر به آل عبد الله وقبضوا عليه: فعند ذلك عكف راجعاً من الإحساء إلى قطر حيث نزل على ابن عمه الشيخ عيسى بن على وبقي الجميع هناك إلى أن تولى سمو الشيخ عيسى حكم البحرين فرجعوا معه إليها كما سيأتى.

الفصل السابع
في إمارة الشيخ
محمد بن عبد الله
وهو الحاكم السادس

لما قبض الشيخ محمد بن عبد الله بن أحمد آل خليفة على زمام الحكم سنة (١٢٨٦) أرسل إلى قبائل قطر يحثها على مناواة الشيخ عيسى بن علي ومن اجتمع معه من إخوانه وبنى عمه فبقى آل سلمان (أى الشيخ عيسى ورابعه) فى أسوأ حال تارة يهددهم الشيخ قاسم بن ثانى وطوراً يتوعددهم جبر مهنا المسلمى يفعلان ذلك تقرباً إلى الحاكم الشيخ محمد بن عبد الله ورغبة فى الحصول على رضائه فلبث آل سلمان على هذه الحالة يعللون أنفسهم بالفرج ويتغلبون على الأهوال بالرضى فكأنهم المعنيون بقول الشاعر:

صبراً على أهوالها ولا ضجر فربما فاز الفتى إذا صبر
لكل شىء مدة وتنقضى ما غلب الأيام إلا من رضى

**فصل فى كيفية
عزل الشيخين
محمد ومحمد
وتفسيرهما**

ومن غريب ذكاء الشيخ محمد بن خليفة وصدق فراسته: هو أنه قال لآل عبد الله لما قبضوا عليه وأرادوا قتله (لن تطول مدة حكمكم أكثر من ثلاثة أشهر فلا تستعجلوا على القتل فكان الأمر كما ذكرنا إذ قبل انقضاء ثلاثة أشهر أتى معتمد الإنكليز المقيم في أبي شهر واسمه (بيلي) على بارجة إلى البحرين واتجه بالشيخ محمد بن عبد الله وساله عن الحاكم السابق الشيخ محمد بن خليفة فأجابه بأنه قتل في المعركة ففحص المعتمد عن ذلك فأخبر بأنه محبوس في (قلعة أبي ماهر) فذهب إليها بالبارة وأحاطها بالعساكر وأخرج الشيخ محمد بن خليفة من السجن وأركبه معه في البارحة.

ثم إن المعتمد أمر بإخراج جيش آل عبد الله وهم بنو هاجر من البحرين وأطلق عدة مدافع على دار الحكم في (المنامة) فخرج بنو هاجر فارين ومعهم أميرهم الشيخ ناصر بن مبارك آل عبد الله ودام إطلاق المدافع عليهم حتى أبعادوا عن البلدة.

ثم استشار رؤساء قبائلها وأعيان أهلها فيمن يختارونه حاكماً عليهم فأجمع الكل على طلب الشيخ عيسى بن علي فكتب المعتمد البريطاني إليه يستقدمه. ولما وصله الكتاب وفشى الخبر في قطر جعل أهل قطر يعرضون على الشيخ عيسى سفنهم ومساعدتهم بعد أن كانوا يهددونه بالخروج من بلدانهم.

الناس إخوان من دامت له نعم والويل للمرء إن زلت به القدم فشكرهم وأبان لهم عدم حاجته إلى مساعدتهم. وركب هو وعشيرته السفن من مرساها. وقالوا بسم الله مجريها ومرساها وأتى البحرين بمن معه

من عشيرته وصحبته (قبيلة النعيم) وأتباعهم فنزل المحرق. فقابله المعتمد وعرض عليه رغبة أهل البحرين في توليته عليهم واتفق سموه مع المعتمد على بعض الشروط. ورقى عرش المملكة بالتهليل والهتاف من الجمهور: وسنه يومئذ (٢١) سنة:

وكان لما أقبل من قطر سمو الشيخ عيسى بموكبه على البحرين ضاقت الدنيا بما رحبت على الحاكم الشيخ محمد بن عبد الله ولجأ إلى البارجة الإنكليزية فرفض قبوله. ثم أفهمه بأنه بقى في البحرين يقتل من حيث لا يعلم فعند ذلك قبله المعتمد وأركبه البارجة هو وحفيد أخيه الشيخ على بن ناصر بن مبارك آل عبد الله وأقلعت البارجة المذكورة بالمذكورين (الشيخ محمد والشيخ محمد والشيخ على) فأنزلتهم في (فلفلان) حيث اعتقلوا هناك مدة وأرخ هذه الحادثة أهل مسقط بقولهم (على غيب ومحمد سيب)^(١).

ومات في المعتقل الشيخ محمد بن عبد الله وبعد وفاته بنحو سنة نقل الباقون إلى (بمبي) وذلك سنة (١٢٩٤) وخيروهما في الموضع الذى يرغبان الإقامة فيه فاختراروا (عدنًا) فنقلوا إليها.

وفى سنة (١٢٩٧) سمح الإنكليز للشيخ على بن ناصر بالتوجه إلى (الإحساء) وبقي بها إلى أن توفى وعقبه فيها إلى اليوم.

وأما الشيخ محمد بن خليفة فبقى في عدنان إلى سنة (١٣٠٤) حيث ورد إلى أبنائه بالبحرين كتاب من (راشد بن سلطان آل زايد) وهو من وجهاء أهل البحرين وكان إذ ذاك في (دار الخلافة الإسلامية) ينبأهم فيه بتشجيع

(١) غاب في اصطلاح أهل مسقط بمعنى مات. أى مات على وسبى أخوه محمد. أى نفى.

السلطان عبد الحميد الثانى فى أبيهم وأنه سينقل إلى مكة المشرفة وطلب منهم أن يتوجه أحدهم إلى عدن لمساعدة أبيهم على السفر إلى مكة المشرفة. فتوجه نجله سمو الشيخ إبراهيم بن محمد إلى البصرة ومنها إلى عدن فلم يجد عند حكومتها خبراً عما جاءه من الخبر فتوجه إلى جدة فمكة فالطائف حيث قابل فيه الشريف عون الرفيق بن محمد بن عون ووالى مكة (صفوت باشا) فشرح لهما المسألة .

فأبرقا إلى دار الخلافة يسترحمان تأكيد الخبر فصدر الأمر السلطانى إلى عدن بإطلاق سراح الشيخ محمد بن خليفة فتوجه سمو نجله بعد أداء فريضة الحج إلى عدن. وقفل راجعاً فى خدمة أبيه إلى مكة المشرفة فوصلها سنة (١٣٠٥) فأحسنّت الحكومة العثمانية مقابلته وعينت له راتباً شهرياً. وبعد استقراره رجع نجله الشيخ إبراهيم إلى البحرين. وبقي الشيخ محمد فى مكة يفكر فى استرجاع البحرين ولكنه داهمه الأجل فتمرض ثم توفى فى (٨ ذى الحجة عام ١٣٠٧) وانتهت حياته فى أشرف البقاع وذلك مما يدل على سن نيته وقبوله عند الله رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار. ولما رجع حجاج البحرين نعوه إلى أنجاله فرثاه ابنه سمو الشيخ إبراهيم بالقصيدة العينية التى أوردنا بعض أبياتها فيما تقدم.



صاحب العظمة سمو الشيخ عيسى بن علي الحاكم الحالي

الفصل الثامن
في حكم
صاحب العظمة
سمو الشيخ عيسى

رقى سمو الشيخ عيسى بن على بن خليفة بن سلمان بن أحمد الفاتح بن محمد بن خليفة آل خليفة. عرش المملكة لليلة بقيت من شعبان سنة (١٢٨٦) وعمره يومئذ (٢١) سنة. واستلم زمام الملك بيد الحزم والتدبير. فدانت له القبائل والأعراب ونشر رايات العدل والأمان. وقمع بسيفه البغاة والعدوان. وأشاد بعلمه وحلمه وتقواه ركن الدين. وأظل بأغصان فضله الأرامل والمساكين فألقى السعد عصا تسياره بقصره. وخصه بين الأنام بنصره فلا غرو إذا اجتمعت على محبته القلوب وعقدت على طاعته الخناصر إذ لا يسبق له فى ميدان الفضائل جواد ولا ينبوا له فى معامع المضاء والعزيمة سهم ولا نصال وآيات جوده تناقلها الركبان ورايات عدله وحلمه منشورة بين القاصى والدان وناهيك أنه لما تولى أريكة الحكم أنهم على القبائل التى كانت معه فى قطر ببذل العاديات الأصائل حتى بلغ 'طاؤه فى جلسة واحدة أربعين قارحاً من جياذ الخيل ومبلغاً جسيماً من الأموال والسلاح والحلل ووصل بنى عمه بالبساتين الزواهر والطرف النفيسة من الأسلحة والجواهر حتى أنهم جمعوا على أنه أندى الملوك راحة. وأرحبهم ساحة.

له همّة لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر له راحة لو أن معشار جودها على البركان البر أندى من البحر وكانت ولادته أمد الله فى سنى حياته فى غرة عام (١٢٦٥) فسماه والده المعظم باسم صهره المرحوم عيسى بن طريف آل بن على إحياءً لذكره وإعلاناً لأن ما صدر منه لا يصلح أن يكون سبباً لقطع صلة الرحم وأواصر القرابة. ولما جاوز سموه نصف العقد الأول من أعوام عمره الميمون ضم إليه

المربين والمؤدين وعلماء الدين . فأخذ عنهم ما يجب لأولاد الملوك وإدارة الملك . ولما أميقت عنه التمايم . وظهرت منه للنجابة علائم . استقدم أبوه الاختصاصيين بشئون الإدارة وعلوم السياسية والاجتماع فحاز فى مدة قصيرة ما لم يحزه أغلب كبرى الجامعات . وكان فى جميع أدواره آية فى الذكاء والفصاحة . وتوقد الذهن والبلاغة . وقد أشرب أنجاله الكرام سجاياء المجيدة فكان حجة دامغة على تأثير حسن المنبت وشرف المحتدى فى التربية والأخلاق وإنك لترى فى سمو أولاده صورة مصغرة عن مزايا سمو والدهم المعظم وأن كل حفظه الله قد جمع من حسن الخصال . ما تفرق فى العالم فى مختلف الأجيال .

وكان له خمسة أبناء . الشيخ سلمان . والشيخ حمد . والشيخ راشد . والشيخ محمد والشيخ عبد الله . فالأول والثالث أفل نجمهما فالشيخ سلمان توفى سنة (١٣١١) بعد عودته من أداء فريضة الحج . والشيخ راشد توفى فى رمضان سنة (١٣٢٠) .



ناصر بن أحمد حاجب الحاكم

ترجمة ولى العهد سمو الشيخ حمد



صاحب العظمة سمو الشيخ حمد

ولى العهد هو أكبر الأنجال الموجودين . سمو الشيخ حمد ابن ذى
العظمة . سمو الشيخ عيسى أعزه الله . ذوا الهمم السامية والمزايا الراقية . من
أجمع الناس على مضاء عزيمة . وصفاء سريرته وذكائه البارع . وحلمه
الواسع . وجوده الشاسع . ولد أدام الله مجده سنة (١٢٩١) وأخواله من آل
خليفة . فرباه سمو والده المعظم تربية ملوكية وجلب له ولإخوانه الأساتذة
الفطاحل فتخرج عليهم وأعجبوا بحسن أدبه وقوة حافظته وغزارة فضله
وسديد سياسته . وله فى الشجاعة والفروسية المقام الأسمى . وحاز من الكرم
والجود النصيب إلا وفى فقلت :

تساما على الأقران بالفضل والقدر	بهمته حاز المحاسن كالبدر
أمير له أوج المعارف مركب	وآثاره عمت على البر والبحر
له الأرض طرا تحت قبضة سيفه	وأفعاله تبنى عن السر والجهر
ملك له خلق كريم ومنطق	يقر به أهل الدراية والفخر

(مؤلف)



سمو الشيخ سلمان ابن الشيخ حمد

وقد أنجب حفظه الله (١١) بنًا وهم . الشيخ سلمان ولد أطل الله بقاءه
 فى ١٥ ربيع ثانى عام ١٣١٢ ثم محمد ثم أحمد . فهؤلاء الثلاثة جدهم من
 جهة الأم الشيخ على بن محمد آل خليفة . وعلى . وراشد وعبد الرحمن
 وهؤلاء الثلاثة جدهم عبد الله بن سلمان الجلاهمة . وإبراهيم وأحمد ومبارك
 وعبد الله وهؤلاء الأربعة جدهم الشيخ سلمان بن دعيج آل خليفة . وخليفه
 وجده الشيخ راشد بن محمد آل خليفة .



أبناء الشيخ حمد الثلاثة



دعيج ابن الشيخ حمد وعن يساره حاجب أبيه عبد الله بن جبر



حاجب الشیخ حمد (عبد الله بن جبر الدوسری)

ترجمة سمو الشيخ محمد بن ذى العظمة الشيخ عيسى



سمو الشيخ محمد بن المعظم الشيخ عيسى بن على

الابن الثانى:

سمو الشيخ محمد بن ذى العظمة سمو الشيخ عيسى . فهو فى العلم والذكاء نادرة أوانه . وفى البلاغة والعرفان سحبان زمانه . أن نظم أزرى بعقود الجمان . أو نثر عبث بزهر الجنان وقد اشتهر بالشجاعة والسماحة . وعرف بالجلود والحزامة . فهو رب السيف والقلم :

فقلت :

م من ذا يضاهيه فى مجد وفى كرم ملك عصر المعالى نخبة الأمم
ح حاز المحامد بالسيف الصقيل كما حواه آباءه الإنجاب فى القدم
م من الخليفة من عدنان نسبته محمود فعل وآثار على علم
د دعتة كل المعالى فاستجاب لها دعاء عز وإقبال مع النعم

ولد أدام المولى حياته سنة (١٢٩٦) وأخواله من آل بن على وقد أنجب (٦) أبناء وهم سمو الشيخ أحمد ولد أطل الله بقاءه فى محرم سنة (١٣١٧) ثم الشيخ على ولد فى ٢٨ رجب سنة (١٣٢١) ثم الشيخ راشد ولد فى ١٤ ذى القعدة سنة (١٣٢١) ثم الشيخ خليفة ولد فى ٦ ربيع أول سنة (١٣٣٠) والشيخ إبراهيم ولد فى ذى الحجة سنة (١٣٣٥) والشيخ سلمان ولد فى ذى الحجة عام (١٣٣٨) . وكلهم ولله الحمد أقمار بازغة سالكين سبل أسلافهم الكرام .



الشيخ أحمد ابن سمو الشيخ محمد



الشيخ على ابن سمو الشيخ محمد



الشيخ راشد ابن سمو الشيخ محمد



محمد بن صالح حاجب سمو الشيخ محمد



جاسم بن محمد النبھانی الحاجب الثانی لسمو الشیخ محمد والواقفان
بجانبیہ من رؤساء قبائل (دبی)

ترجمة سمو الشيخ عبد الله ابن ذى العظمة الشيخ عيسى



سمو الشيخ عبد الله بن المعظم الشيخ عيسى وعن يساره نجله سمو
الشيخ محمد

الابن الثالث:

سمو الشيخ عبد الله ابن ذى العظمة سمو الشيخ عيسى . فهو كعب فى سماحته . وحيدة بشجاعته . والأحف بحلمه . وقيس بن زهير فى أصالة رأيه وفهمه . متوقد الذهن شديد الذكاء . نابغة فى العلوم السياسية والأدب . وله شغف عظيم فى الفروسية والإقدام فقلت :

حاز المكارم والمفاخر سيد ذو همة تعلق إلى جو السما
منه السياسة قد رقت فى حسنهما أوج المعارف فوق أشقر أدهما
دعنى أكرر منطقى فى وصفه ونظام لفظ فهو أكمل من سما

ولد أدام الله وجوده سنة (١٣٠١) وأخواله آل خليفة وقد تقدم (عند تاريخ ارتقاء البحرين) أنه هو ونجله الشيخ محمد أول من ركب الطائرة . وقد أنجب أربعة أبناء . وهم الشيخ محمد ولد أطل الله عمره سنة (١٣١٩) ثم الشيخ راشد ولد سنة (١٣٢١) ثم الشيخ على ولد فى محرم سنة (١٣٣١) ثم الشيخ حمد سنة (١٣٣١) أيضا . وكلهم أقمار ساطعة . وشموس بازغة . عارجين سبل الرشاد كآسلافهم . النجباء الفخام .

ترجمة سمو الشيخ خليفة بن سلمان حفيد الحاكم



سمو الشيخ خليفة بن سلمان

حفيد الحاكم:

سمو الشيخ خليفة بن سلمان ابن ذى العظمة سمو الشيخ عيسى بن على . فهو ذو الأخلاق الحميدة والمزايا المجيدة فإنه منذ ميّطت عنه التمايم شرع يقتفى أثر أعماله فى الكرم والسماحة ويحذوا حذوهم فى الحلم والشهامة . ولد أمد الله فى سننى حياته سنة (١٣٠٨) وأخواله آل خليفة . وقد أنجب بابنين الشيخ راشد . وولادته فى محرم عام (١٣٢٨) وأرخها يوسف ابن فلاح بقوله (أهلا براشد الاسم والقال). وأخوه الشيخ سلمان ولد فى رمضان سنة (١٣٢٩): وأما حاجبه فهو يوسف بن حسن بن فلاح ذو الآداب الحميدة .

وقد استوزر الحاكم

صدرا من حكمه عم أبيه الشيخ عبد الوهاب بن سلمان بن أحمد الفاتح الخليفى إلى أن توفى سنة (١٣٠٦) ثم استوزر من بعده ابنه الشيخ عبد الرحمن بن عبد الوهاب إلى سنة (١٣٣٤) حيث انسلخ منها لأمر مجهولة .

فصل
في مساكن
أصحاب السمو
حكام البحرين

أول ما يستلفت النظر فى البحرين حسن ترتيب وضع قصور الحكام
الفخام: إذ قد توسط قصر سمو الحاكم المعظم وأحاطت به قصور أنجاله
الكرام. فكأنه القمر بين زواهر النجوم

(فمن الجنوب) قصر ابنه سمو الشيخ حمد وهو شرقى مسجد الجمعة
القديم. وقد كتب على مصراعى الباب هذان البيتان وبهما تاريخ البناء:

عيسى بن على منار البيت أظدهُ على المكارم والعليا له عمد
لشبله طالع الإقبال أرخه (هنيت بالبيت يا درّ العلى حمد)
(١٣٠٩)

(ومن الغرب) قصر ابنه سمو الشيخ عبد الله. وقد جدده على الطراز
الحديث سنة ()

(ومن الشمال) قصر ابنه سمو الشيخ محمد. وبجانبه مجلسه
العمومى. وأمامه المجلس الخصوصى. وقد خصصه لى مدة إقامتى فى
البحرين تقصدنا فيه العلماء والفقهاء والمحبين للزيارة والطلب العلم: وفى
جنوب هذا المجلس. مجلس ابنه الشيخ أحمد بن الشيخ محمد.

(ومن الشرق) قصر حفيد الحاكم سمو الشيخ خليفة بن سلمان وقد
جدد بناءه على الطراز الجديد وجعله فى الطبقة الثانية سنة (١٣٣٩) وأرخه
يوسف بن فلاح بقوله.

تجديد صارفى فى العشرين من صفر فى عام خير بهذا قلت مبتدر
مؤرخاً داعياً للشهم صاحبه (عمرت فيه بلا نقص ولا كدر)
(١٣٣٩)

وباقى قصور العشيرة الخليفية الكريمة محيطة به من جهاته الأربع أحاطه الهالة بالقمر . والأكمام بالثمر . وكلها بديعة الزخرفة منتظمة الهندسة .

وفى داخل قصر سمو الشيخ حمد مجلسه العمومى وهو بديع المنظر والشكل بنى سنة (١٣٣١) لمقابلة الوفود . والضيوف . ويكاد أن يكون أفخر أبنيه البحرين الشهيرة .

وأشهر علماء البحرين: فى زمن حكم صاحب العظمة سمو الشيخ عيسى بن على . هم الشيخ محمد بن راشد الحسينى المالكى تولى القضاء إلى أن توفى . والشيخ عبد الرحمن بن جعفر المالكى تولى القضاء ثم عزل عنه : والشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل مبارك المالكى تولى القضاء ثم عزل عنه . والشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد المحسن الصحف المالكى تولى القضاء إلى سنة (١٣١١) حيث ذهب إلى بمبى للتداوى فمات بها : والشيخ قاسم بن مهزغ المالكى وهو القاضى الحالى . والشيخ سعيد بن أحمد أبى بشيت المالكى والشيخ عبد اللطيف بن محمد بن سعد المالكى خطيب جامع المنامة : والشيخ خالد بن يوسف أبى بشيت المالكى والشيخ على بن محمد الباشا المالكى . والشيخ عيسى بن راشد بن عيسى المالكى مفتى المحرق الحالى . والشيخ إبراهيم بن جامع الحنبلى . والشيخ عيسى بن جامع الحنبلى . وابنه الشيخ عبد العزيز بن عيسى بن جامع وقد تقلد مذهب الإمام مالك وهو اليوم إمام جامع الشيوخ فى المحرق . والشيخ إبراهيم بن هاشل الشافعى النقشبندى . والشيخ محمد بن عبد الرزاق آل محمود الشافعى خطيب (جامع الحد) ومفتيه وقد توفى فى ٢٤ ربيع أول عام ١٣٣٦هـ . والفقيه النحوى والفرضى المتفنن الشيخ عبد اللطيف بن محمود آل محمود الشافعى وهو

تلميذ والدنا فى علم الفلك وهو الذى قرظ كتاب الوالد المسمى بالوسيلة
المرعية فى معرفة الأوقات الشرعية بقوله .

إلى م تجيل الفكر فى وصل مية

وتندب أراماً حسائاً بهمة

وتلهو بسعدى والرباب وزينب

وعن حاصلات الربع فى جنح غفلة

فدع ذكر سعدى والرباب كليهما

وشمر لضبط الربع من ذى الوسيلة

رسالة حسن برزت فى فنونه

وشاهدها إيضاحها فى العبارة

بها اتضحت أوقات عمدة ديننا

ودلت على سمت هداانا لقبلة

ولم لا ومنشيتها يتيمة عصره

سلالة نبهان سمي بخليفة

خليفة خير ما له من مماثل

لقد سهل الفن العسير بفكرة

وعند انتهى تكميلها قل مؤرخا

(قواعد طرق الربع منشأ الوسيلة)

والشيخ أحمد بن محمد بن عبد الرازق آل محمد وهو خطيب جامع
الحد اليوم بعد والده.

وقعة ربيعة

سببها هو أن عبد الله وأخاه سعوداً ابني فيصل آل سعود لما تحاربا على
إمارة نجد بعد وفاة أبيهما وحصلت بينهما عدة وقعات انتهت أخيراً بانكسار
سعود وفراره إلى اليمن (كما بيناه في تاريخ نجد) ثم توجه من اليمن إلى
عمان فالبحرين حيث نزل على بساط حاكمها صاحب العظمة سمو الشيخ
عيسى بن علي آل خليفة. فغاض ذلك أخاه عبد الله فتواطأ مع الشيخ قاسم
ابن ثاني الذي صار أخيراً حاكم قطراً على أخذ البحرين فبلغ خبرهما للشيخ
عيسى بن علي فشرع يجهز الجيوش لصد غارتها فلما علما بتأهب حاكم
البحرين لهما أقلعا عن مقصدهما الأول. ورجعا إلى أذية كل من يلوذ به.

وكان ممن يلوذ به قبيلة النعيم التي في بر قطر فأغاروا عليها وحصلت
بينهما معركة شديدة أسفرت عن انكسار النعيم وفرارهم إلى (قلعة ربيعة)
فحاصروهم حتى نفذ قوتهم ومؤهم فاضطروا إلى التسليم فصادر الشيخ قاسم
بن ثاني إبلهم وأنعامهم وحلالهم فذهبوا فارين بأنفسهم نحو البحرين فوجدوا
(سمو الشيخ عيس) على ساحل البحر بأسطوله الشراعى قادماً لنصرتهم
ومعه الشيخ أحمد بن علي آل خليفة. ولكن فاته التدارك بفرقهم وبرجوع بن
ثاني بالسلب إلى مقره. فنقلهم سمو الشيخ عيسى معه في السفن إلى
البحرين. وتسمى هذه الحادثة (وقعة ربيعة) وذلك سنة (١٢٨٧) وأرخت
بلفظ (غدروها ليلا) لأن أهلها كانوا على غرة فهجم عليهم ابن ثاني برهطه
غدرًا بدون إشعار فكسرهم.

لمحة:

كانت سفينة الحاكم التى تقود الأسطول الشراعى تسمى (الطويلة) لطولها المتناهى . وكانت العادة عند الحكام أنهم حين الهجوم على الأعداء يحملون فيها مشاهير الشجعان ليكون هم المحافظون على بيضة الحاكم . وكان فيمن حمل فيها فى هذه الحادثة عم المؤلف عيسى بن حمد بن موسى النبهانى . وأما والد المؤلف الشيخ خليفة فكان فى ضمن سفن عشيرته مع القوم لصغر سنه يومئذٍ .

وفى سنة (١٢٨٨) حصل فى البحرين طاعون يسمونه الضرب الثانى . وأما الأول فهو فى سنة (١٢٣٦) وقد تقدمت الإشارة إليه .

شد القليعة

لم يشف ابن ثانى غليله من آل خليفة حتى جعل ينازعهم فى الإيقاع برعاياهم فأغار فى سنة (١٢٩٥) على قبيلة النعيم ولم يقنع بسلبهم فيما مضى حتى جعلها كالعادة عليهم . فحاصرهم فى (قلعة مرير) الواقعة فى أرض الزبارة فبلغ الخبر لسمو الشيخ عيسى حاكم البحرين فسار إليهم بأسطوله الشراعى مشحوناً بضراغم الرجال لإنقاذ رعاياه النعيم ومن تعلق بهم . فلما وصل الموضع المسمى (القليعة) جاءتهم بارجة انكليزية ومنعتهم من الحرب فى البحر حيث أن السلطة فى ذلك اليوم فى الخليج للإنكليز فظلوا متحيرين هناك يقدمون رجلاً ويؤخرون أخرى نحو (١٥) يوماً والمذاكرة جارية بين حاكم البحرين والمعتمد البريطانى فى خصوص المهاجمة البحرية . وفى أثناء هذه المدة شدد (ابن ثانى) الحصار على قبيلة النعيم حتى ألجأهم إلى مصالحته بإعطائه نصف ما يملكونه من الخيل والأنعام فصادره منهم وفك

حصارهم . فلما بلغ الخبر لسمو الشيخ عيسى عطف بأسطوله نحو البحرين .
ويسمون هذه الحادثة (شد القليعة) والشد فى اصطلاحهم هى المحاصرة
البحرية فقط . كما تقدم .

شذرات

وفى سنة (١٢٩٦) قصد مكة المشرفة حاكم البحرين سمو الشيخ عيسى
بن على لأداء فريضة الحج فتوجه إلى أبى شهر ومنه إلى جدة فمكة المشرفة .
وبعد قضاء الحج أراد التشرف بزيارة قبر نبيه ﷺ فلم يتمكن لضيق الوقت
وعاد قافلا نحو مقر حكمه على جناح السلامة :

وقعة الزبارة

سببها هو أنه تشاجر خدام آل خليفة مع خدام آل بن على تشاجراً فاحشاً
حتى عظم الأمر وارتقى من الموالى إلى الموالى^(١) ثم ألجأ الأمر إلى طعون آل
بن على من البحرين ونزولهم فى الزبارة ثم انضموا إلى حاكم قطر الشيخ
قاسم بن ثانى وعزموا على مناوأة أهل البحرين :

فإن النار بالعودين تورى وإن الحرب أولها كلام

ثم إنهم أرسلوا إلى متصرف لواء نجد فى الإحساء وهو يومئذ (إبراهيم
فوزى باشا) وطلبوا منه العلم العثمانى فأرسل لهم الراية العثمانية مع مرسوم
خاص : فجعلوها فوق أعلامهم . وفى هذه المدة جعل سمو الشيخ عيسى بن
على يسترضيهم ويبذل قصارى جهده فى استرجاعهم إلى البحرين وهم يأبون
ومصممون على رأيهم .

(١) ومعلوم أن عدم الإنصاف بين الخدم يفضى إلى الندم، والمنافسة بين الخدم : سم فى
دسم، وتعدى الخادم عن طوره : دليل على ظلم المخدم وجوره . اهـ مؤلف .

ثم إنهم تجمهروا تحت قيادة الشيخ سلطان بن سلامه آل ابن على وانضم معهم الشيخ ناصر بن مبارك آل عبد الله من آل خليفة وصحبهما الشيخ قاسم ابن ثانى واجتمع الكل عند (قلعة مرير) التى بنوها الخلفيون فى الزبارة قديماً وعزموا على العبور إلى البحرين ليحتلوها لتوفر قوتهم . فلما طرق مسامع انكلترى ذلك الخبر خشيت من أن تخفق الراية العثمانية على جزيرة البحرين مرة ثانية: فتضيع سياستها التى تسوسها منذ أعوم: فأبى المعتمد البريطانى واسمه (كاسكين) إلى سمو الشيخ عيسى حاكم البحرين واستأذنه فى ردع هؤلاء الثائرين فأذن له فتوجه المعتمد البريطانى نحو الزبارة يقود أربع بوارج انكليزية حتى أرسى عند الزبارة ونزل إلى البر واتجه بزعماء الثائرين ومنعهم عن فكرتهم فى مهاجمة البحرين فلم يلتفتوا إلى قوله ولم يصغوا إلى كلامه . فعاد مغضباً ورجع إلى البوارج وأمرها بإطلاق القنابل على تلك العشيرة: فأصلتهم ناراً حامية حتى مزقتهم وتحطمت البلدة وتفرق أهلها شذراً مذراً: وتسمى هذه الحادثة (كسارة الزبارة) وذلك فى ٨ ربيع عام (١٣١٢).

وبعد خراب البلدة ذهب المعتمد المذكور ببوارجه إلى محل غوصهم واستاق من سفنهم المهمة نحو (٩٥) سفينة وقادها برجالها إلى البحرين فأسلم الرجال أسراء إلى سمو الشيخ عيسى منهم تجديد المعاهدة على الطاعة والانقياد لأوامره فعاهده الأكثر منهم على ذلك ثم خلى سبيل الكل . وبقيت سفنهم تحت قبضة المعتمد البريطانى . فلما أرادوا أخذها منهم من استلامها وأمرهم بشرائها منه فأبوا وعلموا أن هذا لظلم عظيم حيث أنه أخرج ديارهم وسفك دماءهم بلا كفاه ذلك حتى ذهب إلى مغاصهم وقاد سفنهم وعطل مصلحة غوصهم ثم سجن رؤساءهم عند حاكم البحرين ولما تحصلوا على

العفو من سمو الحاكم الشيخ عيسى لم يرض المعتمد بذلك بل أراد زيادة ضررهم فأمرهم بشراء سفنهم منه وإلا أحرقها فأبوا وصمموا على عدم الشراء: فأوقد المعتمد فى سفنهم ناراً وأحرقها بأجمعها وذلك فى شوال عام (١٣١٣) وكان فى ذلك المدة قد توجه الشيخ سلطان بن سلامة فى سفينته إلى القطيف وأخذ من قائمقامها أوراقاً بما حصل عليهم من الظلم ليرفع بها الخبر إلى أعتاب الدولة العلية العثمانية .

فلما قبض الأوراق توجه نحو البصرة فمر فى أثناء سيره على موضع يقال له (رأس تنوره) وأرسى هناك بسفينته حسب العادة لبعض الأشغال فى البر فاستضافه جماعة من (قبيلة العمامرة) فأضافهم وأحسن مثواهم . وإذا هم عازمون على اغتياله بإغراء الأعداء وأتوا إليه على وجه الضيافة ليعرفوا قوة قومه . فلما فرغوا من أكل طعامه رجعوا إلى البر . ثم عاد منهم اثنان يخوضان البحر نحو سفينته على سبيل موادعته . فلما قربا من مؤخر السفينة قام الشيخ سلطان بن سلامة إجلالاً لهما ومد يده إليهما ليتناول من يدهما بندقيتهما ليسهل عليهما ركوب السفينة فأطلقا فى صدره رصاصتين فخر شهيداً رحمه الله وأخزى قاتلاه . وفرا ناجين بأنفسهما وقد بهت قول المقتول فلم يمكنهم التدارك بأخذ الثأر من القاتلين .

فكان قتل الشيخ سلطان هو السبب فى إضاعة حقوق عشيرته ولم يقم أحد مقامه فى الرئاسة إلى اليوم . وبقيت عشيرة آل بن على بدون رئيس يرتضيه الكل .

ذبحه سلمان بن دعيج

سببها أن رجلاً يسمى (غيثا العماري) قد ذهب ابن عم له إلى بر ظهران فقتل هناك ف قيل أن قاتليه بنو مره . فذهب غياث المذكور إلى ذلك الموضع لأخذ الثأر فاتجه بفتى منهم فقال له غيلة ورجع إلى البحرين في خدمة حكامها . فأتى أبو الفتى المقتول واسمه (ابن مفتاح) إلى حاكم البحرين وأخبره بما جرى من غياث العماري وطلب القود فأمتنع الحاكم من تسليم شخص دخل في حمايته كما هي العادة عند جميع العرب . وإنما جبر الحاكم خاطر أبي المقتول بعبارة حسنة وأعطاه عوض الدية فرساً وحلة وأوعد بالكرامة التامة في كل سنة . فرجع الأعرابي إلى مقره مظهراً السرور مبطناً الحقد .

فبعد مدة ذهب إلى بر ظهران الشيخ سلمان بن دعيج بن خليفة آل خليفة للقنص كالعادة وفي معيته (٢٥) شخصاً وفي ضمنهم (غيثا العماري) المذكور . فهجمت عليهم ليلاً وهم نيام سرية من (آل بحيج من المرة) رهط بن مفتاح المذكور أبي الفتى المقتول وهو معهم فوضعوا فيهم السيوف وهم نيام فانتبهوا فزعين وأخذوا السيوف وداؤهم تسيل وتقارعوا مع عدوهم برهة . ولكن لكثرة العدو ودهشة النوم لم يتمكنوا من المدافعة التامة . فقتل الشيخ سلمان وابنه دعيج وابن أخيه الشيخ عبد الرحمن بن راشد بن دعيج وقتل معهم (٢٢) شخصاً ولم ينج منهم سوى بشر بن الشيخ سلمان بن دعيج وهو الذي أتى بخبرهم بعد أن قتل من العدو اثنين فقط . لأن بندقة لصقت فيها (الفشقة) ولم يتمكن من إخراجها أثناء المعركة فنجا بنفسه بعد أن رأى جثة ابن مفتاح بين القتلى . وسلب العدو جميع أمتعتهم وأثاثهم . بعد فعلتهم التي فعلوها وهم ظالمون . ثم ظعن العدو من تلك النواحي بقطيطة وقططه خوفاً

من أخذ الثأر منهم ولم يعلم لهم حتى اليوم مقر معين أو محل مخصوص دمرهم الله حيث كانوا. وتسمى هذه المصيبة (ذبحة سلمان بن دعيج) وذلك سنة (١٣٢٨).

من لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد

سنة على بن أحمد

هو أنه حصل بين خادم الشيخ على بن أحمد بن على بن خليفة آل خليفة وبين خادم لتاجر جرمنى فى البحرين فى المنامة مشاجرة أفضت إلى ملاطمة. فأتى الشيخ على لينظر قضيتهما فرأى أن خادم الجرمنى مخطئاً فلطمه الشيخ على فاستغاث الخادم بصاحبه الجرمنى. فأتى ذلك الجرمنى مغضباً وأساء الأدب بلسانه مع الشيخ على حتى أغضبه فعمد الشيخ إلى الجرمنى فلطمه أيضاً فعظمت المسألة. فرفع الجرمنى شكايته إلى معتمد انكلتره المقيم فى البحرين. وتوجه الشيخ على إلى قطر كالعادة. فبعد التحقيق قرر المعتمد البريطانى على الشيخ على حكماً غيائياً بعدم دخوله البحرين إلى مدة خمسة أشهر. ثم إن المعتمد أخبر الحاكم سمو الشيخ عيسى بما تم عليه القرار على ابن أخيه وإن الجرمنى رضى بذلك الحكم ولم يبلغ الشيخ على بما حكم عليه. فبعد أيام قلائل رجع الشيخ على إلى البحرين فرآه الجرمنى فغضب غضباً شديداً ورفع شكواه رأساً إلى دولته. فتخابرت السفراء فى خصوص هذه المسألة فقررت بريطانيا بنفى الشيخ على من البحرين إلى مدة خمس سنوات. فلما بلغ الخبر للشيخ على قفل راجعاً إلى قطر قطعاً للنزاع فأتى المعمد الإنكليزى واسمه كاسكين إلى بيت الشيخ على وفتحه بدون إذن عمه الحاكم وأظهر جميع أثاثاته فأحرقها علناً أمام جمع من الأهالى. ثم ذهب إلى

الساحل وأمر بحرق سفن الشيخ على فأحرقت فى الحال . وصادر أسلحته وخيله وإبله وأنعامه وعرضها للبيع فى البحرين فلم تطب نفس أهل البحرين لشرائها فأمر المعتمد بحملها جميعاً إلى بر عمان فبيعت هناك بأبخس ثمن . ثم شدد المعتمد الطلب على الحاكم فى إحضار ابن أخيه الشيخ على بعد أن أتت إلى البحرين ست بوارج إنكليزية وحاصرت البلدة .

فلما بلغ الخبر للشيخ على خشى من وقوع فتنة عظيمة فرجع إلى البحرين وأسلم نفسه للمعتمد البريطانى تطبيقاً لخاطر عمه . فأركبه المعتمد فى إحدى البوارج لأجل المحاكمة بينه وبين الجرمنى فى البارجة . ولما صعد البارجة أخبر بأن الدعوة تنظر فى أبى شهر وأمرت البارجة بالسفر حاملة الشيخ على ومعه ثلاث نفر ن حاشيته . فلما أقلعت البارجة من مرساها أمروا بنزع السلاح وأدخلوا فى حجرة من حجر البارجة ولم يعلموا ماذا سيصنع بهم حيث أنهم أودعوا فى الحجرة على صفة السجن ولم يفسح لهم بالخروج منها شهراً . ولم يعلموا أين تغدوا بهم البارجة . ثم أنزلوا فى (مبى) بعد شهر كامل . وبقوا فى الهند ثلاث سنوات . ثم أذن لهم بالتوجه إلى البحرين فعادوا إليها .

ولما وصل الشيخ على البحرين قابله ذووه الأهالى بالترحيب وأهدته بنو عمه الهدايا والتحف وقسماً من الإبل والأنعام والخيل فأنجبر كسره . وكان نفى الشيخ على من البحرين سنة (١٣٢٣) ورجوعه فى رجب من عام (١٣٢٦) هـ وتسمى هذه الظلامة (سنة على بن أحمد) .

شذرات

وفى سنة (١٣٢٩) أمر معتمد بريطانيا بمنع بيع السلاح والرقيق فى البحرين فهاجمت الأهالى وماجت ثم اجتمعت فى بيت الحاكم سمو الشيخ عيسى وطلبوا منه أن يضع حداً لاعتداء الإنكليز. فأجابهم بعجزه ما لم يتفقوا معه على رأيه وحثهم بالعاصد: وأن يكونوا يداً واحدة على من سواهم. ليتمكنوا بالنهضة لاسترداد حقوقهم المغصوبة. فتكفلوا له بذلك وطلبوا منه أن ينشئ لهم مجلساً يضم رؤسائهم وذوى الرأى منهم. ويخول لهم حق انتخاب القضاة الشرعيين ورؤساء الدوائر. وعزل غير الوطنيين واتخاذ الأسباب اللازمة لحفظ حقوقهم. فأجاب الحاكم طلبهم وأعطاهم أوراقاً وثائق بذلك وأخذ منهم أخرى يتعهدون فيها بالسمع والطاعة ولزوم أوامره ما دام سمو الحاكم متبعاً لمشورة ذلك المجلس.

ولما تم إنشاء هذا المجلس على أحسن ما يرام وعلمت به الأعداء تيقنت بأنه الضربة القاضية على سياستها. فسعت فى حله حتى أوعز إلى قاضى المحرق الشيخ شرف اليمانى. فأتى ذلك القاضى إلى سمو الحاكم ووسوس له بأن هذا المجلس عقد على خلع عظمتكم. فأوجس الحاكم فى نفسه خيفة من ذلك المجلس. فأصدر فى الحال أمره بحلة فأنحل وتفرقت أعضاؤه. ثم أعلن بأن من يفه ببنت شفة فى مسألة المجلس يسجن. وبذلك نال العدو بغيته وتمكنت قدمه. ولكن سرعان ما تكشف أحوال القاضى المذكور فخلع وطرده وأشفق على نفسه فلجأ فى الحال إلى دار المعتمد البريطانى طالباً الأمان على نفسه فقط.

(وفى سنة ١٣٣٨) تأسست فى المنامة دائرة للبلدية تحت رئاسة سمو الشيخ عبد الله نجل الحاكم: تم فى سنة (١٣٣٩) آلت إلى سمو الشيخ حمد نجل الحاكم وولى العهد فوضع نائباً عن محمد شريف العوضى .

(وفى سنة ١٣٤١) بنى سمو الشيخ سلمان بن الشيخ حمد حفيد الحاكم قصرًا فى (القضيبة) وبنى أيضاً (دائرة للحكم) فى المنامة على الساحل فى مقابلة (المكمس البحرى) من جهة الغرب .

تم بعون الله (تاريخ البحرين) من كتاب التحفة النبهاية فى تاريخ الجزيرة العربية المزين بالرسوم: تأليف فريد عصره العالم الشيخ محمد ابن العلامة صاحب الفضيلة الشيخ خليفة النبهانى ثم الطائى المكى المالكى المدرسين بالمسجد الحرام كان الله لهما عوناً ومعيناً .



سعد بن الشيخ عبد الله بن شمالان مع ابنيه عبد اللطيف وعبد العزيز